



إصدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي - الجزائر

الأشيخ حمزة بوكوشة

أضواء على سيرته ونماذج من آثاره (1)

جمعه: أ.د. عبد الكريم بوغزاله

أستاذ التفسير وعلوم القرآن
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي - الجزائر





إصدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي - الجزائر

الشيخ حمزة بوكوشة

أضواء على سيرته ونماذج من آثاره (1)

جمع: أ.د/ عبد الكريم بوغزالي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي





مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية

Laboratory of Algerian scientists contributions to enrich the Islamic studies

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي

Faculty of Islamic Sciences - University of El Oued - Algeria

مخبر بحث معتمد من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

تحت رقم (70). بتاريخ: 2015/02/21. الرمز: E0780400

الموقع الإلكتروني: <https://www.univ-eloued.dz/index.php/8-univ/1818-lasceis>

□ الطبعة الأولى: 1445هـ / 2023م

□ رقم الإيداع القانوني: نوفمبر 2023م

□ ردمك: 0-17-517-9969-978

© محفوظات
جميع الحقوق

□ التنفيذ الطباعي:

ولاية الوادي . الجزائر

☎ 032 14 93 39

☎ 0557 97 44 43

✉ imp.alwady@gmail.com

سأحي
للنشر
والطباعة
والتوزيع

جميع الآراء الواردة في الكتاب تعبر عن آراء كاتبها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،

فهذا كتاب بَرٍّ وَوَفَاءٍ، لعالم من العلماء، ومصلح من المصلحين، ومجاهد من المجاهدين، وهو الشيخ العلامة الجليل: حمزة بوكوشة، وهو من علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تخلصا وتمجيذا، أما التخليد: فلأن الأعمال تخلد الذكرى بصاحبها حياً وميتاً، وعمل الإنسان أطول من عمره وسني حياته، وأما التمجيد، فلأن المكتوب عنه عمل أعمالاً مجيدة، قضى عمره من أجل وطنه معلماً ومربياً، بلسانه وقلمه، ناضل في سبيل دينه ولغته ووطنه حتى مات.

المكتوب عنه: الشيخ حمزة بوكوشة، علم من أعلام سوف والجزائر والعالم العربي والإسلامي، أحد علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، صاحب السيرة العطرة، والمسيرة المضيئة، والمناقب الحسنة.

وفي هذا الكتاب:

1. تعريف بسيرة هذا العَلم، ومسيرته العلمية والتربوية والنضالية.
2. تحقيق جملة من المقالات التي نشرها الشيخ في جريدة البصائر، لسان

حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

والمقالات التي نشرتها هنا وخدمتها خدمة علمية هي اثنتا عشرة مقالة

فقط، على أن تحقق بقية مقالاته تباعا في منشورات أخرى بإذن الله تعالى.

وأسأل الله عز وجل أن يجعل عملي له خالصا، ولعباده نافعا، وأن يسددني

ويوفقني، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

□ حياته الشخصية والعلمية □

أولاً: حياته الشخصية

1. اسمه ونسبه:

هو حمزة بن البشير بن أحمد بن بوكوشة بن شنوف بن علي بن مهير.

أمه: مريم بنت عمار حُشيّة.

ولد بالوادي في 12 رمضان 1325 هـ الموافق: 19 أكتوبر 1907م، وسجل رسمياً سنة: 1909م¹.

يطلق على العائلة: بوكوشة، نسبة لجدهم، والد جد الشيخ حمزة.

واللقب الرسمي في الوثائق المعتمدة: شنوف².

2. نشأته:

نشأ الشيخ في صباه بين الوادي وبسكرة، أما الوادي فمع أمه، إذ عاش صباه فيها كما يعيش الصبيان، بين متعلم لكتاب الله تعالى، أو معين لوالده في سقي النخيل، أو أي عمل من أعمال كسب لقمة العيش.

وكان شيخنا حمزة يتنقل إلى بسكرة أحيانا، مرافقا والده الذي يعمل بها في كامل السنة عدا فصل الصيف، وكانت مهنة والده التجارة، وكان- لما كان

1 ويرى الشيخ محمد الصالح الصديق أن ولادته كانت سنة 1906م. ما رأيت وما رويت، ص 18، وأعلام من المغرب العربي، 1092/3، ومن أعلام الإصلاح في الجزائر، 62/2.

2 ما رأيت وما رويت، ص 9، ومن خواطر الصبا والشباب والكهولة والمشيب، ص 8، ومن أعلام الإصلاح في الجزائر، 62/2، والعلامة الموسوعي الشيخ حمزة بوكوشة، ص 12-14.

بالوادي - خطاط مصاحف، وكتب أكثر من ستين مصحفاً.

ومن رحلات الشيخ حمزة إلى بسكرة تلك التي كانت سنة 1913م برفقة والده، ودامت أربعة شهور، وكانت الرحلة على ظهور الإبل، ذهاباً، ودامت مدتها ستة أيام.

ولم تكن الرحلة آمنة، ففي منتصف الطريق، وبعد ثلاثة أيام منها مخاوف عديدة، فتشدد حراسة القافلة ليلاً.

وكان الرجوع عن طريق القطار إلى جامعة، ثم عن طريق الإبل إلى الوادي. وعاد إلى بسكرة سنة 1915م عبر الجمال إلى تقرت، ثم القطار إلى بسكرة، وسار على عادة والده لا يرجع إلى الوادي إلا صيفاً، يحفظ القرآن ويعين والده في تجارته¹.

وفي سنة 1924 أرسله والده إلى زيتونة تونس طالباً للعلم وبقي إلى سنة 1930 متخرجاً فيها بشهادة التطويع².

3. أسرته: ولد للشيخ حمزة ولدان وخمس بنات، وهم:

سهيل، ومنذر، وأسماء، وزينب، وפטومة، وسعاد، والزهور³.

4. أعماله:

تقلد الشيخ حمزة عدة وظائف رسمية وغير رسمية، ومنها:

1 ما رأيت وما رويت، ص 18-24.

2 ما رأيت وما رويت، ص 15.

3 من أعلام الإصلاح في الجزائر، 64/2.

أولاً: التعليم:

- درّس الشيخ حمزة في عدة مدارس ومساجد ونوادي في عدة مدن، ومنها:
- أ. مدينة دلس: حيث عين الشيخ حمزة مديراً لمدرسة الصلاح ومدرسا فيها، ابتداء من شهر أبريل سنة 1932م إلى سبتمبر 1935م.
- ودرّس بمسجدها تفسير كلام الله تعالى، حيث فسر لهم الربع الأول من كتاب الله تعالى، بعد صلاة المغرب¹.
- ب. مدينة قسنطينة: عين مساعدا في التدريس للعلامة عبد الحميد بن باديس بالجامع الأخضر بقسنطينة سنة 1936م، فدرس لتلامذته في مسجدي سيدي قَمُوش، وسيدي بومعزة سنة كاملة².
- ج. مدينة ليون الفرنسية: سافر إلى ليون الفرنسية سنة 1938م مدرسا ومعلما للمغترين، وحمایتهم من الشبهات والشبهات³.
- د. الجزائر العاصمة: عين مدرسا بالمعهد الباديسي وقت إدارة الشيخ العربي التبسي له، سنة 1956م⁴.

1 ما رأيت وما رويت، ص 15، 57-65، وجولة من التلال إلى الرمال، ضمن كتاب خمس رحلات جزائرية، ص 117.

2 ما رأيت وما رويت، ص 15، ومن أعلام الإصلاح في الجزائر، 2/63.

3 يقول الدكتور محمد الهادي الحسني: «في إنقاذ المغترين الجزائريين من الرذائل والفسوق، وأوهام الشيوعية، وذلك عن طريق الاتصال المباشر بأولئك المغترين، وتوعيتهم، وتعليمهم مبادئ دينهم». أحداث وأحاديث، ص 448. وينظر: ما رأيت وما رويت، ص 92-94، ومن أعلام الإصلاح في الجزائر، 2/63.

4 ما رأيت وما رويت، ص 16.

والتحق مدرسا بثانوية عقبة بالعاصمة سنة 1964 م¹.

ثم درس في ثانوية باستور، ثم ثانوية عمر راسم، وفيها أحيل على المعاش².

ثانيا: الصحافة:

أسس الشيخ حمزة بوكوشة بعض الجرائد منها:

أ. جريدة الليالي: وكانت مع شريكه الإصلاحى الشيخ علي بن سعد، تأسست في فيفري سنة 1936 م، تصدر مرتين في الشهر.

وهي نشرة فكاهية انتقادية أدبية.

توقفت عن الصدور في مارس 1937 م³.

ب. جريدة المغرب العربي: كان مدير الجريدة السيد محمود بلة (من كوينين الوادي)، وانتدب الشيخ الزاهري لها ليكون رئيس تحريرها، ثم عين لها الشيخ حمزة بوكوشة، بعد تغير الشيخ الزاهري عن خطه الإصلاحى.

صدر من الجريدة أعداد أربعة فقط، وكما قال عنها الأستاذ أحمد رضا حوحو: « فعاشت بعض الوقت، ثم ماتت جوعا وهي في عهد الطفولة⁴ ».

تأسست في ماي سنة 1937 بوهران⁵.

1 ما رأيت وما رويت، ص 16.

2 من أعلام الإصلاح في الجزائر، 64/2.

3 ما رأيت وما رويت، ص 71-73.

4 من أعلام الإصلاح في الجزائر، 63/2.

5 ما رأيت وما رويت، ص 74-75.

ج. وفي سنة 1947م عين الشيخ في لجنة تحرير جريدة البصائر، لسان حال جمعية العلماء¹.

ثالثا: الجمعيات والمجالس:

كان الشيخ حمزة أحد المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سنة 1931م، وكان عضوا عاملا فيها².

وانتخب عضوا في مجلس إدارة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وسافر إلى ليون الفرنسية سنة 1938م مدرسا ومعلما للمغترين، وحمایتهم من الشبهات والشبهات³.

عين نائبا للكاتب العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1944م، ومراقبا عاما للجمعية سنة 1947م⁴.

وبعد الاستقلال عين عضوا مستشارا بالمجلس الإسلامي الأعلى وذلك في سنة 1966م، ثم انسحب منه⁵.

1 ما رأيت وما رويت، ص 16.

2 ما رأيت وما رويت، ص 43-47، ومن أعلام الإصلاح في الجزائر، 63/2.

3 ما رأيت وما رويت، ص 16، يقول الدكتور محمد الهادي الحسني: «في إنقاذ المغترين الجزائريين من الرذائل والفسوق، وأوهام الشيوعية، وذلك عن طريق الاتصال المباشر بأولئك المغترين، وتوعيتهم، وتعليمهم مبادئ دينهم». أحداث وأحاديث، ص 448.

4 ما رأيت وما رويت، ص 16، ومن أعلام الإصلاح في الجزائر، 63/2.

5 ما رأيت وما رويت، ص 16.

رابعاً: التجارة:

اشتغل الشيخ حمزة بوكوشة تاجرَ تمر مدّة بأمر من والده، رغم أنه لم يكن راغباً فيه، لأنه صده عن التعليم، وكان يشتغل ببيع بعض الخضر، وقد قال عن نفسه: «لبثت حتى سنة 1932 بالجزائر أبيع التمر الذي يرسله إلي والدي من بسكرة، وما يرسله لي بعض معارفه... ، وأرسل من الجزائر بعض الخضر إلى بسكرة وقسنطينة، حيث يقيم أخي محمد الأمين، وسئمت من هذا العمل، وحتت نفسي إلى مباشرة التعليم، رغم ما أعلمه أن والدي لا يوافقني على ذلك، ولكن كيف العمل وأنا لا أستطيع مخالفته¹».

وقد كان يوقع بعضاً من مقالاته في جريدة البصائر باسم حمزة بوكوشة بائع التمور، أو: صاحب مستودع التمر.

خامساً: وزارة الأوقاف: وظف الشيخ رحمه الله سنة 1963م متصرفاً مدنيا بوزارة الأوقاف بالجزائر.

سادساً: وزارة العدل:

عين عضواً مستشاراً متعاقدًا في وزارة العدل الجزائرية بالغرفة المدنية في مجلس القضاء الأعلى سنة 1972م، وأضاف ابنه سهيل: إلى أواخر العقد². وعمل محامياً بعدها في اختصاص الأحوال الشخصية إلى سنة 1990م³.

1 ما رأيت وما رويت، ص 56.

2 ما رأيت وما رويت، ص 15-16، وينظر: من أعلام الإصلاح في الجزائر، 64/2.

3 من زيادة ابنه سهيل. ينظر: ما رأيت وما رويت، ص 17، وينظر: من أعلام الإصلاح في الجزائر، 64/2.

التقاعد عن العمل الرسمي:

تقاعد رحمه الله عن العمل الرسمي سنة 1971 م¹.

5. العلامة بوكوشة والثورة الجزائرية:

كان الشيخ حمزة بوكوشة مجاهدا بقلمه، مناضلا بفكره، يمتاز بوطنية صادقة، من أوائل المصلحين الذين طبقوا فكرة استقلال العقول قبل استقلال الأبدان، وفي سبيل ذلك تعرض للسجن والإهانة والتعذيب، وقد سجن في:

أولا: حوادث الثامن من ماي سنة 1945 م².

ثانيا: اعتقاله أيام الثورة التحريرية الكبرى ببول كازال بعين وسارة، وبوسوي:

قال متحدثا عن نفسه: «اعتقلت ضمن من اعتقل يوم 4 مارس على الساعة العاشرة قبل الزوال، وقبل اعتقالي أتى الجند ليلا لمركز العلماء، وبحثوا علي فلم يهتدوا لعنوان مسكني، وكان ذلك ليلة الأحد، فبلغني الخبر صباحا بمسجد بلكور حيث كنت أقوم بدروس لتلامذة معهد ابن باديس.

فتركت عملي واستعددت للطوارئ، وهممت أن أفرّ كما فرّ موسى حين همّ به القبط، وفكرت وقدرت وعملت كل جانب، وعرضت المسألة على صديقي وصهري فرأيت منه عدم الموافقة على الفرار، واقتنعت برأيه لاسيما بعدما تيقنت أن القوم يأخذون البريء بالمدنب والقاعد بالمقيم، أو أنهم إذا

1 ما رأيت وما رويت، ص 16.

2 العلامة الموسوعي الشيخ حمزة بوكوشة، ص 117.

أرادوا أن يجاسبوني على أفكار - فلم أكن يوما من الأيام أخفيها - فقد كنت أنشرها في الجرائد، وأخطب بها في المساجد، فإذا ما فررت أن يأخذوا ابني مكاني وهو في ربيع شبابه.

وأترك عائلتي وعائلة أخي عبد الغني وهو رهن سجن وهران - عبء ثقيلا على أظهرنا، وربما يقول بعض الناس أن هذا الفرار لا معنى له.

أجل لم أفرّ ومكثت يوما وليلة نابغية، وقصصت على أم البنين لتستعد لما قد يكون وهدأت روع صبيتي، وأخبرتهم بالحادث المنتظر ليقابلوه برباطة جاش، وأن اقامتي ربما لا تطول الى غير ذلك من المُسكّنات.

ثم يقول: «وقد كان الجنود أثناء الطريق يهدوننا ويسمعوننا قارص الكلام إلى أن وصلنا إلى بول كازال على الساعة الثانية فأجلسونا على الرُّكَب، وأشبعونا بالضرب ونحن صفوف يقدموننا واحدا واحدا لخيمة تسجل فيها الأسماء ويودع فيها الأموال التي تزيد على الأربعة آلاف فرنك، ويجردوننا من أوراق النسب، وأوراق التعريف، وأعطونا بدل ذلك أرقاما، فهنا تذوب الشخصية ولا يبقى الإنسان إلا رقما من الأرقام الحسابية، فيه ينادى وبه يدعى، ولا أبالغ إذا قلت إن الإنسان في ذلك الميدان لا يعامل معاملة الحيوان، بل يعامل معاملة الجمادات.

وقد أوكلوا بنا حراسا من نفايات الطرق، لأنهم لا همّ لهم إلا السلب والنهب والسب والضرب، فما كانوا يعطوننا أواني للأكل وما يسمى في عرفهم فراشا حتى أشبعونا بالضرب، وساقونا سوق القطيع، وألزمونا بالجرى لا فرق فينا بين الشباب والشيوخ... وفي منتصف النهار أعطونا مغرفة من عدس

وقطعة من خبز لا تزيد عن 120 غرام، وهذه وجبة الغداء ومثلها العشاء...¹».

وقد قضى في معتقله واحدا وعشرين شهرا².

ولم يدخر الشيخ حمزة جهدا في كشف عوار المستعمر الفرنسي في كتاباته في جريدة البصائر، قبل الثورة وأثناءها.

ومن أمثلة ذلك: ما كتبه في مقالين عن القضاء الإسلامي بالجزائر، وكيف عبث به المستعمر الفرنسي، وما نتائج ذلك³.

وما كتبه في مقال بعنوان: ما بعد استقلال المغرب وتونس إلا استقلال الجزائر⁴.

وتخط يده مقالا ساخنا يشيد فيه بالثورة المجيدة ضد المستعمر الفرنسي، من خلال أناشيد بعض الشعراء، كأحمد سحنون ومحمد العيد آل خليفة، وها هو يقول: «ما أظن أن ثورة الجزائر اليوم، لو وضع أحد الشعراء المعاصرين لها نشيدا يفوق نشيد ابن باديس رحمه الله، من جهة المعاني الحية، التي تبعث روح التضحية في النفوس».

1 ما رأيت وما رويت، ص 114-121.

2 من أعلام الإصلاح في الجزائر، 2/63.

3 في عددي: 7 رمضان 1366هـ/25 جويليت 1947م، و: 14 رمضان 1366هـ/1 أوت 1947م. ينظر: البصائر، المجموعة الثانية، عدد1 و2، ص 8 و14.

4 في عدد 10 شعبان 1375هـ/22 مارس 1956م ينظر: البصائر، المجموعة الثانية، عدد 359، 313/8.

والنشيد المقصود هو:

أشْهَدِي يَا سَمَا
أَنَا لِلْحَمَى
وَكَتَبْنَا يَا وَجُودَ
سَنَكُونُ الْجُنُودَ
وَنَفِكُ الْقِيُودَ
وَنُذِيقُ الرَّدَى
كُلَّ عَاتٍ كَنُودَ¹

ولما زار الشيخ حمزة مسقط رأسه الوادي بعد عودته من فرنسا، وبشر بالحركة التعليمية والتهديبية في فرنسا، انتقلت منه الإدارة الفرنسية، وأبعدته عن الوادي وبسكرة، بسبب أفكاره التنويرية، ولأنه كان متحدثا باسم جمعية العلماء².

يقول ابنه سهيل: «بدأت أعي الأحداث فيما أظن سنة 1955م قبل ازدياد أخي منذر في ماي 1956م، وهذه بعض الذكريات التي احتفظت بها ذاكرتي: كان أبي ليلا يندندن في أذني قبل منامي، ويقول: ردد معي:

من جبالنا طلع صوت الأحرار ينادنا للاستقلال

وهو أشبه ما يكون بالأذان في أذن الرضيع، وفقا للسنة المحمدية الغراء³.

1 في عدد 3 شعبان 1375هـ/16 مارس 1956م، عدد 358، ينظر: البصائر، المجموعة الثانية، 306/8.

2 من أعلام الإصلاح في الجزائر، 63/2.

3 من خواطر الصبا والشباب والكهولة والمشيب، ص 9.

6. جوانب من حياة الشيخ حمزة بوكوشة وصفاته:

■ حمزة بوكوشة الفقيه:

يقول الشيخ محمد الصالح الصديق: «تمكن من العلم وخاصة في الفقه والأصول والقانون وفنون اللغة العربية، وهذا يرجع إلى حبه للعلم، وهيامه به، واجتهاده في تحصيله على رجال العلم بالزيتونة الذين أخذ عنهم ممن كانوا بحق أساطين العلم وفرسان البلاغة أمثال العلامة الشيخ طاهر بن عاشور، والشيخ عبد العزيز الجعيط¹».

حمزة بوكوشة الناصح: كان رحمه الله ناصحا لأمته معلما لها، شفوفا عليها، فقد قضى عمره ناصحا لأمته، واعظا، موجها، لا يدع مناسبة إلا ووجه وأرشد.

ويتمثل ذلك أيضا فيما يكتبه من الموضوعات التي كان يركز عليها في مقالاته، فتراه يركز على الإيمان بجميع نواحيه، ويقول: «هل ينقصنا شيء غير الإيمان؟»، ويعظ في الأخلاق التي تنقص الشعب ليرتقي إلى مصاف الأمم الراقية، يقول رحمه الله: «لا أدلّ على سعادة الأمة وشقاوتها ورقيتها وانحطاطها من أخلاقها، فإذا كانت حسنة كانت عنوانا على بلوغ الأمة إلى أوج الكمال، وإذا كانت سيئة كانت آية بيّنة على أخذها في أسباب الفناء والاضمحلال، لذلك اتخذها الأنبياء والمصلحون والزعماء والمجددون غرضا أسمى يُرمَى إليه في كل زمان ومكان، ناهيك أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الغاية من بعثته تتميم مكارم الأخلاق، فقال: «إنما بعثت لأتمم مكارم

1 أعلام من المغرب العربي، 3/1106.

الأخلاق»...

ويبين رحمه الله أن نهضة الأمم، وطردها للمستعمر البغيض يكون بالأخلاق الحسنة، حيث يقول: «الأخلاق الفاضلة: أعظم مذكر للأمم بمجدها الغابر، ومُنقذٍ لجدِّها العاثر، وباعثٍ لقوميتها التي تستطيع بها أن تعيش كأمةٍ محتفظةٍ بكيانها في الوجود، ضاربةً بسهمٍ مع الأمم الحية في الرقي والعرفان، باستعمال العقل الذي كرم الله به بني الإنسان.

ولزاما على من يحاول بعث أمة من مرقدها، وحشرها في زمرة الأحياء، أن يرجع بها إلى قوميتها وأخلاقها الحسنة، والأخلاق الحسنة من كمال الإيمان».

كتب عن قيمة المرأة وحجابها، وعن توحيد كلمة المسلمين، وغير ذلك من الموضوعات الهادفة والنصائح الهامة التي تبث الروح في قلب الأمة المريض.

■ حمزة بوكوشة الناقد:

كان الشيخ يميل إلى النقد، فطبيعته التي طبع عليها، مع مقدرة علمية، وحرية تفكير فرضت عليه ذلك، ولم يسلم من نقده الإمام ابن باديس ولا غيره.

يقول الشيخ محمد الصالح رمضان: «امتاز الأستاذ بوكوشة بين أدبائنا بالنقد الأدبي والاجتماعي، فكان يحرك السواكن في الساحة الأدبية والاجتماعية، بأرائه الجريئة، وتساؤلاته المحرجة للبعض، فينفض الغبار الراكد عن بعض المواضيع، أو يثير العواطف والزواجر في مسائل شتى،

فيعجب به قوم، ويغضب منه آخرون، شأن كل ناقد بصير¹».

وإن لم يرتض بعضهم نقده اللاذع، وتشكيكه في كثير من الأمور، والتي أراد بها إصلاح مجتمعه وعلى رأسهم العلماء والمثقفون، لكن ما فطر عليه الشيخ حمزة لم يثنه عن ذلك، فطبيعة النشأة القاسية، أو نمط العيش، أو لون التربية حتم عليه ذلك.

انتقد الشيخ مصطفى بن حلوش² فيما يخص مسألة حجاب المرأة هل هو دين أو عادة شريفة؟

وانتقد الشيخ ابن باديس لما أمضى مقالا له باسم الصنهاجي.

وانتقد الشيخ أبا يعلى الزواوي، وانتقد غيرهم مما سنراه في مقالاته رحمه الله تعالى.

يقول الشيخ مصطفى حلوش في مقال ذيّل به المناقشة بينه وبين الشيخ حمزة حول مسألة الحجاب: «انبعث الشيخ حمزة بوكوشة من واديه، وعليه أمارات الحنق والغيط، لو تأملته لأحسست بأن في صدره ما في وعاء العيساوي من أفاعي، وعقارب، وهناة، وسلاحف، فما لبث أن شعوذ بها ما شاء له الهوى، ثم دفع بها في جريدة البصائر، مقالا في الرد على مقالي: «حجاب المرأة عادة، لا دين»، وما كان أغنى صديقنا الفاضل عن هذا كله لو أنصف ولم يتعسف، وجرى فطرته ولم يتكلف²».

1 من خواطر الصبا والشباب، 16-17.

2 البصائر، عدد: 60، المجموعة الأولى، 80/2.

□ حمزة بوكوشة الشاعر:

امتاز الشيخ حمزة بشاعرية متدفقة، إذا ناسبت ما يحركها من منظر جميل، أو موقف كريم، أو لفظة موحية، وكان شعره الذي يخرج من فؤاده ذا لفظ أنيق، وخيال متوثب، بعاطفة حية¹.

فقد كتب في رثاء والده قائلاً:

الحول حال، ونار الحزن تستعر والقلب كاد من الأهوال ينفطر
وكيف يطفئ ما قد حل من ألم ثلج الشتاء وهوج الريح والمطر²

كتب عن الانحراف الديني، وعن الصحافة، وعن بلده سوف، وفي رثاء الأمير خالد...

ولما زاره الشيخ الطيب العقبي في مدينة دلس كتب فيه قصيدة ومما قاله فيها عنه:

قل للجزائر قبل اليوم تخبرنا بما كان بها من فسق وعدوان
لما حللت بها اخضرت مرابعها وضج من فرع من كان بالحنان
بعثتها بعلوم بعدما قبرت بعثتها بأحاديث وقرآن
ثم قال:

يا وفد جمعية لله داعية في الناس ناشرة علما ببرهان
إلى الأمام فإننا معشر ألفوا بيع النفوس بجنات ورضوان

1 ينظر: أعلام من المغرب العربي، 1107/3-1108.

2 نشرتها جريدة الوزير التونسية، في: 23 مارس 1934م. ينظر: من خواطر الصبا والشباب والكهولة والمشيب، ص 64-65.

لا عندنا مال وخيل مسومة تهدي كذكرى إليكم غير وجدان¹

■ حمزة بوكوشة الجريء:

مما عرف عن الشيخ حمزة أنه لا يعلو أمامه أحد في الحق، ولو كان الذي أمامه هو العلامة ابن باديس.

فقد كان الشيخ حمزة كاتباً في جريدة البصائر التي أسسها ابن باديس وهي لسان حال جمعية العلماء التي رئيسها الشيخ عبد الحميد، ورغم ذلك كان ينتقده في عدة مقالات، والأغرب أن ابن باديس كان ينشر انتقاد حمزة له.

وكان ينتقد أيضاً وبشدة وجرأة بعض أصحاب الطرق، ولا يخاف من أحد، صادحا بالحق، مبينا للنصح، رغم أن بعضهم كان يكيد له، لكنه لا يبالي.

وللشيخ حمزة بوكوشة قصة مع بعضهم في قضية تجنيده للعسكرية، كان سببها وشاية قدمها أحدهم به بعد وفاة والده، حيث أعطى هذا الأخير معلومة مزورة بأن حمزة بوكوشة ليس وحيد أمه، مما يوجب عليه بسببها التجنيد الإجباري عند السلطات الفرنسية المستعمرة، وقد حكى الشيخ ذلك بنفسه فقال: «بعد مضي ثلاثة أيام على الفحص تأتي رسالة من الحاكم العسكري بالوادي يثبت أني الولد الوحيد لوالدي، أما إخواني فهم من امرأة أخرى، وهذه الشهادة تعفيني من التجنيد، وأن الشهادة الأولى مغلوطة، وعندما ذهبت إلى الوادي علمت أن الحاكم أخذ أول مرة معلومات مغلوطة، بل المقصود للمدلي بها غفر الله له لإيقاعي في الورطة لأني من المنكرين على

1 نشرتها جريدة الوزير التونسية، في عدد 422، ليوم: 22 أوت 1935م. ينظر: من خواطر الصبا والشباب والكهولة والمشيب، ص 69-70.

أصحاب الطرق الصوفية، وما يأتونه من الكرامات، وما يأخذونه من أتاوات¹».

وكان الشيخ رحمه الله يتناول في مقالاته ظلم المستعمر الفرنسي غير آبه به، ومن ذلك أنه لما أراد هو والشيخ علي بن سعد تأسيس جريدة الليالي بوهران، واتصلا بمجدد فرنسي أسلم، وأعلن إسلامه بعد سراحه من الجندية، ليكون سنداً لهما أمام فوافقهما على ذلك شريطة أن لا يكون في الجريدة تجريح أو تقرّيع، يقول الشيخ حمزة: « فقلنا له ما الفائدة في إصدار هذه الجريدة إذا لم توضح وتصرح وتجرّح؟... فنحن ندافع عن الشعب من ظلم البشغوات والقيّاد في التراب العسكري، ونوضح ما تلاقيه الأمة هنالك من إهانات وسخرية...²».

7. وفاته:

توفي ظهر يوم الجمعة 14 جمادى الثانية سنة 1415هـ الموافق 11/18/1994م، ودفن في اليوم الموالي بمقبرة القطار بالعاصمة الجزائرية. وكانت وفاته إثر نوبة قلبية حادة، وصلى عليه رفيق دربه الشيخ علي المغربي³.

1 ما رأيت وما رويت، ص 64.

2 ما رأيت وما رويت، ص 71-72.

3 أعلام من المغرب العربي، 2/1110، ومن أعلام الإصلاح في الجزائر، 2/65.

ثانياً: حياته العلمية

1. شيوخه: تعلم على عدة مشايخ في ربوع الوطن وخارجه، ومنها:

أولاً: في الوادي:

أ. سيدي إبراهيم بن القايد، أرسلت به أمه إليه في سن السادسة ليحفظ كتاب الله تعالى، وكان يُحَفِّظ الأولاد القرآن في جامع أولاد أحمد بالقرب من بيت جده لأمه: عمار بن حشية، فجمع بين حفظ القرآن الكريم، وتعلم الحروف الهجائية قراءة وكتابة¹.

ب. الشيخ الطاهر العبيدي.

ج. الشيخ محمد بن الجديدي.

د. الشيخ إبراهيم بن عامر، صاحب كتاب الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، درس عليه الآجرومية، ودروسا من مختصر خليل في الفقه المالكي².

ثانياً: في بسكرة:

ب. الطالب الأخضر بالهاني البسكري: قرأ عليه بجامع بكار مدة.

ج. الطالب مسعود بن الطاهر: تاجر فقيه، كان يعلم أولاده بنفسه، ولأنه صديق والده، تتلمذ حمزة أيضا على يديه، يملئ عليه اللوح، ويكتب له في أسفله أبياتا من المرشد المعين لابن عاشر.

د. والده البشير بن أحمد بن بوكوشة: تولى والده تعليم ولده حمزة بنفسه، وكان يعرض عليه القرآن حزبا حزبا، مرغبا له عند حفظ كل حزب بمبلغ مالي.

1 ما رأيت وما رويت، ص 18-19.

2 الشيخ الناقد حمزة بوكوشة، سمير سمراد، مجلة الإصلاح، عدد 9، المجلد 269/2، والشيخان:

الشيخ إبراهيم بن عامر والشيخ الهاشمي حسني، ص 4.

هـ. الشيخ السماتي: تعلم على يديه فقه العبادات، وهو درس ليلي في دكان أحد التجار ببسكرة.

ثالثا: في تونس:

تتلمذ على شيوخ منهم:

أ. الشيخ حسن بن يوسف، ت: 1945م.

ب. الشيخ عثمان بن المكي التوزري.

ج. الشيخ عبد العزيز جعيط، ت: 1970م.

د. الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ت: 1973م¹.

يصف الشيخ محمد الصالح الصديق هذه المرحلة فيقول: «وكان مع ذلك حريصا جد الحرص على تحصيل العلم، ويواظب على مختلف الدروس التي يتعاطاها بجد وحيوية، ورغبة شديدة في التحصيل... وبهذه المواهب وبهذا الحرص والاهتمام، وهذه الرغبة الملحاحة واصل حمزة دراسته ست سنوات حيث تخرج بشهادة التطويح العالمية، وهي آخر شهادة كانت تمنح للطالب في ذلك العهد²».

رابعا: في الجزائر العاصمة: انضم الشيخ لقسم الحقوق بجامعة الجزائر من سنة 1968 إلى سنة 1971م وتحصل على شهادة الليسانس.

1 أعلام من المغرب العربي، 1106/3، والشيخ الناقد حمزة بوكوشة، سمير سمراد، مجلة الإصلاح، عدد 9، المجلد 2/270-271.

2 أعلام من المغرب العربي، 1093/3.

2. تلاميذه: من تلاميذه:

أ. المكي بوكوشة، وهو أخوه.

ب. محمد السعيد مَعزُوزِي، وهو وزير العمل والشؤون الاجتماعية في الجزائر سابقا، دَرَسَ عليه في دَلَس¹.

3. مؤلفاته:

للشيخ حمزة: ديوان شعر، ومقالات:

أولاً: أما ديوان الشعر فسماه: من خواطر الصبا والشباب والكهولة والمشيب، طبع سنة 2012 بالجزائر، ويحتاج إلى تحقيق وتدقيق.
ثانياً: وأما مجموعة المقالات ففي عدة مجلات وجرائد، أكثرها في جريدة البصائر، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

4. مكانته العلمية وثناء العلماء عليه: أثنى عليه غير واحد من العلماء والأدباء والمفكرين، وفي الآتي ذكر لبعض من أثنى عليه:

أولاً: قال عنه العلامة عبد الحميد بن باديس: الكاتب المعروف، والناقد اللاذع، الذي كان أصدر جريدة المغرب العربي بمدينة وهران، بتلك الروح العربية الإسلامية، الصافية الوثابة².

وقد كتب الشيخ ابن باديس رسالة بخط يده إلى الشيخ محمد خير الدين المراقب العام للجمعية، سنة 1937م قال فيها: «... وبعد: فأنبهكم إلى ما

1 مكالمة هاتفية مع شيخنا الأستاذ الدكتور: عاشوري قمعون، يوم الخميس 2023/11/9، على الساعة: 11.00 صباحاً.

2 البصائر، العدد 137، 4 رمضان 1357 هـ الموافق: 28 أكتوبر 1938م، المجموعة الأولى، 384/3.

يجب من العناية بالشيخ حمزة بوكوشة، فليس مثله ممن يتهاون به، أن نشكو من قلة الرجال، ثم نتغافل عن مثله...¹.

وكان الشيخ الطيب العقبي يثني عليه ويقول أنه: « من دعاة الإصلاح»². وكان الشيخ العقبي صديقا وفيا للشيخ حمزة، بل من خواص أصدقائه³.

ثانيا: وقال عنه الشيخ محمد الصالح الصديق ووالده:

لا يتجاوز عمري الرابعة عشر من الأعوام يوم عاد والدي رحمه الله من لقاء مع الشيخ العلامة الرزقي الشراوي بمدينة عزازقة، وأراني صورة ثلاثة من أهل العلم والمعرفة... ، أما الثالث: وهو الشيخ حمزة بوكوشة فلم أره من قبل، ولم أسمع به، فسألت الوالد عنه فقال: إنه من علماء الجزائر...⁴.

وكان للأستاذ حمزة - في كل ما تناوله معي في هذه الجلسة العلمية الأدبية - من قوة الفكر، ونصاعة الرأي، وفصاحة اللسان، ونبيل الهدف، ما شدني إليه، وفرض علي احترامه وتقديره...⁵.

ومن ذلك اليوم لم يتنكر لجمعية العلماء، ولم يحد قيد أنملة عن مبادئها...⁶. إذا ذكر أبرز رجال العلم والأدب في الجزائر - في العصر الحديث - ذكر

1 الشيخ الناقد حمزة بوكوشة، سمير سمراد، مجلة الإصلاح، عدد 9، المجلد 2/276.

2 ما رأيت وما رويت ص 62.

3 ما رأيت وما رويت ص 61.

4 أعلام من المغرب العربي، 3/1087.

5 أعلام من المغرب العربي، 3/1090.

6 أعلام من المغرب العربي، 3/1095.

الأستاذ حمزة بوكوشة¹.

وقال عنه أيضا: «ومن ذلك اليوم لم يتنكر لجمعية العلماء، ولم يجد قيد أنملة عن مبادئها²».

وقال عنه: «عالم مثقف، وكاتب، وشاعر، وناقد³».

ثالثا: وقال عنه الأديب أحمد رضا حوحو:

«الشيخ حمزة بوكوشة من قدماء متطوعي الزيتونة، ومن قدماء المحاربين في هذه الحركة الإصلاحية، اشتغل في عدة ميادين، وليس عدة أزياء، وتطور مع عدة أزمنة مدا وجزرا... غيورا على الإسلام ونصوص الفقهاء... معلما مسجديا ناجحا...»

الشيخ حمزة بوكوشة أديب ساخر، وناقد ماكر، جريء في أدبه، جريء في آرائه، تحتل نفسه ثورة ولكنها متزنة، أثقلت جوانبها الحكمة والعقل، قليل الكلام، كثير التفكير.. مقلّ الإنتاج ولكنه مجيد⁴.

رابعا: وقال عنه الأستاذ محمد الحسن فضلاء: والشيخ حمزة عالم من علماء جمعية العلماء، ومعلم من معلميهما، كاتب وشاعر، وناقد ساخر، وداعية من صفوف الجمعية... يحمل فكرتها، ويعتز بالانتساب إليها⁵.

1 أعلام من المغرب العربي، 3/1098.

2 أعلام من المغرب العربي، 3/1094.

3 أعلام من المغرب العربي، 3/1106.

4 البصائر، العدد 268، ليوم: 20 شعبان 1373هـ، الموافق: 23 أبريل 1954م، المجموعة الثانية، 341/6.

5 من أعلام الإصلاح في الجزائر، ص 62.

خامسا: وذكر مكانته الشيخ محمد الصالح رمضان فقال:

الشيخ حمزة بوكوشة (شنوف) أديب، شاعر، وناثر معروف، فقيه إسلامي، وحقوقي مدني... امتاز الأستاذ بوكوشة بين أدبائنا بالنقد الأدبي والاجتماعي، فكان يحرك السواكن في الساحة الأدبية والاجتماعية، بآرائه الجريئة، وتساؤلاته المحرجة للبعض، فينفض الغبار الراكد عن بعض المواضيع، أو يثير العواطف والزوابع في مسائل شتى، فيعجب به قوم، ويغضب منه آخرون، شأن كل ناقد بصير.

... يكتب باسمه الصريح غالبا، ويامضات مستعارة تارة أخرى كسهيل، والفتى الزيتوني...¹.

سادسا: ووصفه الأستاذ محمد الهادي الحسني بأوصاف عدة منها: العظيم الهمة، الناصع الذمة².

سابعا: وقال عند الدكتور أبو القاسم سعد الله رحمه الله:

«والشيخ بوكوشة أديب وشاعر، وكان من الحاضرين لتأسيس جمعية العلماء، ومن خريجي جامع الزيتونة... وكان الشيخ بوكوشة من الأوفياء للشيخ ابن باديس وحركته، وكانت جريدته صورة لفكره...³».

ثامنا: وكتب الأستاذ الدكتور عاشوري قمعون كتابا سماه: العلامة الموسوعي الشيخ حمزة بوكوشة.

1 من خواطر الصبا والشباب، 16-17.

2 أحداث وأحاديث، ص 447.

3 تاريخ الجزائر الثقافي، 5/259.

◻ نماذج من مقالات الشيخ حمزة بوكوشة ◻

وقع الاختيار في هذا الجزء على جملة من المقالات، حاولت تحقيقها وتدقيقها وخدمة نصها على قدر الطاقة والوسع، ويسر الله إكمال بقية مقالاته في أجزاء لاحقة، ومن هذه المقالات:

(1) الأخلاق¹

لا أدلّ على سعادة الأُمَّة وشقاوتها ورقِيَّها وانحطاطِها من أخلاقِها، فإذا كانت حسنةً كانت عنوانا على بلوغ الأُمَّة إلى أوج² الكمال، وإذا كانت سيئةً كانت آيةً بيّنةً على أخذها في أسباب الفناء والاضمحلال، لذلك اتخذها الأنبياءُ والمصلحون والزعماء والمجدِّدون غرضا أسمى يُرمَى إليه في كل زمان ومكان، ناهيك أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الغاية من بعثته تتميمُ مكارم الأخلاق، فقال: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ³».

وقد سُئِلَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ خُلُقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ⁴».

والقارئُ للقرآن المتدبِّر لمعانيه، المُتَمَثِّلُ لأوامره، المجتنبُ لنواهيه، يجد مَلَكَ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فِيهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَئِنْ هَذَا أَلْفُ رُءُوفٍ يَهْدِيهِ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9].

1 البصائر، العدد 3، ليوم: 22 شوال 1354 هـ الموافق: 17 جانفي 1936 م، المجموعة الأولى، 28/1.

2 أوج الشيء: قمتة، وذروته. معجم اللغة العربية المعاصرة، 137/1.

3 رواه البخاري في الأدب المفرد، باب حسن الخلق، بلفظ: «صالح»، 143/1، والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي. ينظر: المستدرک، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، كتاب آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم التي هي دلائل النبوة، 720/2.

4 رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، ص

وإذا بحثنا عن ما أصاب المسلمين في هذه العصور المظلمة من الفقر والمذلة والهوان، نجد منشأه: العزوف عن مكارم الأخلاق، حتى إنها إذا فعلت تُفعل عَرَضاً لا ذاتاً، ووسيلة لا غاية - إن لم أقل قَدَرًا -، وكيف تُرجى مكارم الأخلاق من أمة نسجت عليها عنكب الجهل والتضليل والخزعات والأباطيل، كأممتنا الفقيرة من المدارس الدينية، بل من المكاتب الابتدائية، وإن كانت فيها منها ثَمَالَةٌ¹، فهي لا تَنفَعُ غُلَّةً²، ولا تُبْرِئُ عِلَّةً، لهبوب الأعاصير السامة عليها، وانقراض أعداء الإنسانية عليها انقراض الكواسر على ضعاف الطير، وهبها سلمت من كيدهم لها وأذاهم، فهي تدنو من القبر رويداً، لقبض يد المساعدة عليها من الذين بأيديهم مقاليد الرزق، وهبهم مدوا لها يد الإعانة فهي لا تفي بالمقصود من بث مكارم الأخلاق، إلا إذا أعار المشرفون عليها هذه الناحية جانبا عظيما من الالتفات، وجعلوا لها في برامج التعليم أعظم حصة، ورحم الله الزعيم الخالد إذ يقول: «نحن لسنا محتاجين إلى كثير من العلم، ولكننا محتاجون إلى كثير من الأخلاق الفاضلة»³.

فالأخلاق الفاضلة هي التي تكبح جماح النفس عن غوايتها، وتردّها إلى

1 الثمالة: رَعْوَة اللبن، والثمالة: بياض البيضة الرقيق ورغوته... الثمالة بقیة الماء وغيره. والمقصود هنا: بقیة. لسان العرب، 91/11.

2 لا تَنفَعُ: لا تروي، والغلّة: شدة العطش وحرارته قلّ أو كثر. لسان العرب، 359/8، 499/11.

3 القائل هو: سعد زغلول. ينظر: بطل النهضة المصرية الكبرى سعد زغلول باشا، لعباس حافظ، ص 56.

سبيل هدايتها.

الأخلاقُ الفاضلةُ: أعظمُ مُذكّرٍ للأُمَّةِ بِمَجْدِهَا الغَابرِ، ومُنقِذٍ لجدِّها¹
العائِرِ، وباعثٍ لقومِيَّتِهَا التي تستطيعُ بها أن تعيشَ كأُمَّةٍ محتفِظَةٍ بِكِيَانِهَا في
الوُجودِ، ضاربةً بِسَهْمٍ مع الأُممِ الحَيَّةِ في الرقيِّ والعِرفانِ، باستعمالِ العقلِ
الذي كَرَّمَ اللهُ به بني الإنسانِ.

ولزاما على من يحاولُ بَعَثَ أُمَّةً من مرقَدِهَا، وحشِرَها في زمرةِ الأحياءِ، أن
يرجعَ بها إلى قومِيَّتِهَا وأخلاقِهَا الحسنةِ، والأخلاقِ الحسنةِ من كمالِ الإيِّانِ.

1 الجُدُّ هنا بمعنى: الحظ. ينظر: لسان العرب، 107/3.

(2) قِيَمَةُ الْمَرْأَةِ فِي الْمَجْتَمَعِ¹

المرأة من الأمة كالروح من الجسد، والراحة من اليد، إذا صلحت صلحت الأمة كلها، وإذا فسدت فسدت الأمة كلها، وهي المدرسة الأولى التي تُلقِي في طور الأمومة على ولدها كأم كل كائن حيٍّ دروسًا عمليةً يتخذها صَوَى² في مجاهل الحياة، ومنارا يهتدي به في الظلمات، لذلك كانت نصفَ الرجل الذي تتوقف عليه الرجولة الكاملة، ولئن كان هو قَوَّامًا عليها في الإنفاق، ومُقدِّمًا عليها في مواطن الحروب والدِّفاع؛ فهي بدورها قَوَّامةٌ عليه في تدبير المنزل المهَيَّءِ للراحة والهناء، ومُقدِّمةٌ عليه في تربية صغار الأبناء.

تلکم التربية التي هي لما بعدها كالأساس للبناء، ومن أجل ذلك كانت الأخلاق التي تُعوِّد الأمهات عليها أبناءها في طور الصِّبا أَوْقَعَ في نُفوسِهِم مما يُعوِّدُهُم عليه المُعلِّمون والآباءُ في طور الطفولة.

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهُوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا³

وإذا التفتنا التفاتةً للدعوات الدينية والوطنية قبل الإسلام وبعده، تتجلى لنا قيمة المرأة في المجتمع وأثرها الفعال، فموسى عليه السلام حين التقطه آل فرعون من اليمِّ في التَّابوتِ صبيًّا، وهموا بقتله ما ردَّهم عن قتله إلا قولُ امرأة فرعون: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وِلْدَانًا﴾ [الفصص: 8]، ونساء

1 البصائر، السنة الأولى عدد 8، في 28 ذي القعدة 1354 هـ، الموافق: 21 فيفري 1936 م، المجموعة الأولى، 1/63، 66.

2 صَوَى: أعلام مرتفعة منصوبة. ينظر: لسان العرب، 472/14.

3 البيت لديك الجن. ينظر ديوانه، ص 194.

القرطاجيين لما أحاط بلادهم العدو ابتغاء اجتياحهم، واحتاج الملائم من قومهم لرجال يربطون بها السفن، قصصن شعورهن الجميلة ضحية، وقدمنها هدية لقتل الرجال، رجاء إنقاذ الوطن العزيز من كبوته، وصد غارات الغاصبين عنه.

وما لنا وللقرطاجيين ونحن عرب، نعتز بعروبتنا، ونساء العرب كن يشاركن الرجال في الحروب، بمساعدة الجرحى، وتوفير الراحة على المقاتلين، وإذكاء الشجاعة في القلوب، قال ابن أم كلثوم:

على آثارنا بيض حسان¹ نحاذر أن تقسم أو تهونا

يقتن جيادنا ويقلن لستم بعولتنا إذا لم تمنعونا¹

وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، فأتم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم الوحي في غار حراء قال لها: «لقد خشيت على نفسي: فقالت: كلاً، والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق»².

وإن صدور قولٍ مثل هذا من فم امرأة لكافٍ وحده في بعث روح الأمل في

1 البيتان لعمرو بن كلثوم. والبيض الحسان: نساء رجالهم، يخافون عليهن أن يكن غنائم حرب فيقسمن على الجنود، فيحصل لهن الإهانة، لذلك يلازم القتال خلف الرجال في الحروب، ومعنى: يقتن: يطعمن. ينظر: ديوانه، ص 86-87.

2 رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن، سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق، رقم: 4954، 3/333-334، وكتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة، رقم: 6982، 4/329-330، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم: 252، ص 49.

نفس الرجل؛ وإن كان اليأس أقرب إليه من حبل الوريد، وإن في بثّ السيّد الأعظم صلى الله عليه وسلم شكواه لامرأته، لُبْرَهَانَا ساطعا على أن المرأة شريكة الرجل في الحياة، ولكنّ النفوس الطاغية أُشْرِبَتْ حَبَّ الأَثْرَةِ وَجُبِلَتْ على احتقارِ النفوس الضعيفة، وَغَمَطِ¹ حَقِّهَا ظَلَمًا وَعَدْوَانًا، ولولا ذلك لَمَا كان الكثيرُ يعاملُ المرأةَ معاملةَ المتاعِ ليس غير.

ولمَّا كان بعضُ الأعدياء ينكرون عليها التعليم صغيرة، وسماعها الوعظَ والإرشادَ كبيرةً، وإن كان ذلك من وراء حجاب.

ولست أدري، ولا (الْمُنْجِمُ) يدري: إذا لم تتعلم المرأة صغيرةً، ولم تسمع الوعظَ والإرشادَ كبيرةً، من يُبَلِّغُهَا أن الدينَ الإسلاميَّ جعلها راعيةً في بيت زوجها؟ ومن واجب الرّاعي الاعتناء بشؤون رعيته.

من يُبَلِّغُهَا أن الدينَ يأمرُها أن تُعَصَّ من بصرِها وأن تُخْفِيَ زيتها، إلا ما ظهر منها، وأن لا تَبْرَجَ تَبْرَجَ الجاهلية الأولى، بله² الجاهلية الأخيرة، ذلك التبرج الذي جعلها مَطْمَحَ الأنظار، وهدفا لسهام السابلة³ أطراف النهار؟.. وإن كانت متقنعةً بذلك القناع الشفّاف، فهو في الحقيقة كمجهر للوجه يزيده بريقا ولمعانا، وإزاحته أهونٌ من سدِّله، وإن ظنّه المغرورون حجابا فهو من السُّفُور الآثم المُغْرِي بالفجور، الآتي على بُنيان العائلة من القواعد، وَوَزُرُ المرأة في ذلك على الرجل الظلُّوم الذي ضرب بينها وبين اكتساب العلوم

1 يقال: غَمَطَ النَّاسَ غَمَطًا: احْتَقَرَهُمْ وَاسْتَضَعَّرَهُمْ. لسان العرب، 364/7.

2 بله: بمعنى: دع. ينظر: لسان العرب، 392/8، 478/13.

3 السَّبِيلُ: الطَّرِيقُ وَمَا وَصَحَ مِنْهُ... وَالسَّابِلَةُ: أَبْنَاءُ السَّبِيلِ الْمُخْتَلِفُونَ عَلَى الطَّرِيقَاتِ فِي حَوَائِجِهِمْ. لسان العرب، 319-320/11.

الدِّينِيَّةِ بِسُورٍ مِنْ حديدٍ، ظاهره فيه الرَّحْمَةُ وباطنه مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ.

سيقول السفهاءُ أنَّ المرأةَ تتخذُ سماعَ الوعظِ والإرشادِ والتعلُّمِ ذريعةً للاختلاطِ بالرجالِ، وللخروجِ عن طُورِ نُوثِها إلى مزامحتهم في معتركِ الحياةِ، ولكنَّا نقولُ أنَّ التعلُّمَ في الصَّغَرِ والاختلاطَ غيرُ محذورٍ في تلكِ السَّنِّ، وعلى فرضِ حظره أَلَمْ تكنِ للمرأةِ حالاتٌ استثنائيةٌ يباحُ لها فيها الاختلاطُ كبيرةً، كأداءِ الشَّهادةِ واليمينِ وغيرِ ذلكِ؟ وما الذي يمنعها من سماعِ الوعظِ والإرشادِ كبيرةً، كما كان نساءُ السَّلَفِ الصَّالِحِ يستمعنَ ويُسْمِعنَ؟ وأمَّهاتُ المؤمنينِ اللاتي نزلت فيهن آياتُ الحجابِ بصورةٍ خاصةٍ كنِ يَسْتَقْتِنَ فَيُفْتِنَ، وَيَسْأَلَنَ فَيُجَبِّنَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: 53].

والخلاصةُ أنَّ الذين يجادلون أنَّ يُحوِّلُوا بينَ المرأةِ وسماعِ الوعظِ والإرشادِ والتعلُّمِ، يجادلون بغيرِ بَيِّنَةٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ، والذي حدا بهم لذلكِ مغالطةُ الدَّهْمَاءِ بإظهارِ العُلُوِّ فِي الدِّينِ، مع أنَّهم أبعدُ الناسِ عن اتِّباعِ الدِّينِ، لتسأحيهم في المسائلِ التي لا تَمُتُّ إلى الدِّينِ بِصِلَةٍ، بل هي قاضيةٌ على تعاليمِهِ ومعطَّلةٌ لأحكامِهِ، كالاتِّجَاعِ فِي زيارَةِ المقابرِ والمشاهدِ، والمفاسدِ المتولِّدةِ مِنْهَا، وهم في ذلكِ: ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: 8].

الجزائر، حمزة أبو كوشة

(3) حجاب المرأة دين

والمبالغة فيه عادة شريفة في الإسلام وقبله¹

كنتُ قرأتُ في «البصائر» الغراء عدد: 41، مقالاً للشيخ مصطفى بن حلوش² تحت عنوان:

1 البصائر، عدد57، 22 ذو الحجة 1355 هـ الموافق: 5 مارس 1937م، المجموعة الأولى، 2/56-57.

2 مصطفى بن حلوش: عالم أديب، وكاتب خبير، ولد في مستغانم سنة 1907، تعلم على يد علماء بلده، وشارك والده في التدريس، رشَّحه والده للالتحاق بالشيخ ابن باديس بقسنطينة، فدرس عليه سنة كاملة، ثم حثه على الالتحاق بالزيتونة، قال عنه الإمام ابن باديس مزكياً له بشهادة قال فيها: «كان الشيخ المذكور ورد علينا سنة 1345 هـ للتعلم، فاخترناه فوجدناه حافظاً للقرآن العظيم، محصلاً لجانب من علوم الدين وعلوم اللسان، فأقام عندنا سنة مواظباً على دروسه، مجتهداً فيها، حسن المعاشرة، مستقيم السيرة، ذل ذكاء ونشاط ورغبة وهمة، ثم ذهب إلى تونس فأقام بها سنوات متعلماً مسموعاً عند كل من عرفناه عليه، ثم استقر في بلده مستغانم مستعداً لخدمة العلم ونشره...».

كتب في المتقد والشهاب والبصائر، وكان عضواً إدارياً في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، يقول عنه الشيخ محمد الحسن فضلاء: «نشر في جريدة البصائر عدة مقالات إصلاحية واجتماعية وعلمية، وأهمها تلك المعركة القلمية القائمة التي خاضها الأستاذ حمزة بوكوشة حول قضية (جحباب المرأة المسلمة)، فالأستاذ بن حلوش يرى أن حجابها: (عادة لا دين)، والأستاذ بوكوشة يرى أنه: (دين والمبالغة فيه عادة شريفة)، واستمر هذا يكتب، وذاك يرد عليه، إلى أن تدخل في النهاية الأستاذ المحقق الشيخ السعيد أبو يعلى في حسم الخلاف بينهما، لكن الشيخ بوكوشة لم يقتنع برد أبي يعلى، فاستمر في رده، وأشرك الشيخ أبو يعلى هذه المرة فيه.

وعاد الشيخ أبو يعلى مرة أخرى بعنوان: (إلى حضرة السيد بوكوشة)، وكان هذا الرد الأخير منه أعنف وأقسى، فانتتهت المعركة بعد أن شغلت حيزاً كبيراً على صفحات جريدة البصائر، وفي أكثر من عشرة أعداد منها، ومن أراد الاطلاع عليها فعليه بالرجوع إلى أعداد 43 و 62 وما بينهما من =

«طوافٌ وفدِ المؤتمرِ في عمالةِ وهران¹» قال فيه عند ذكر أهل «باريقو²»: وليست هذه الجماعة كالجماعات التي استقبلتنا في المدن السابقة، بل جماعة تمثلت فيها جميع عناصرِ السُّكَّانِ الموجودين في «باريقو»، ففيها المسلمون - وهم الأكثرية- وفيها النصارى واليهود، وكانت لطيفةً بوجود الجنس اللطيف من المسيحيات واليهوديات فيها، ولولا عادةُ الحجاب الثقيلةُ لكان إلى جانبهن من جنسنا اللطيفِ المُسلمِ عددٌ غيرٌ قليل. «كذا»³.

وما دامتِ العربيَّةُ عربيَّةً، فتعبيرُهُ هذا المطلقُ عن التقييد، لا يُفهمُ منه إلا الأسفُ العميقُ على عدمِ سُفورِ المرأةِ المسلمةِ كاليهوديةِ والنصرانيةِ، ووقوفِها معهن جنبا لجنب، فاستأْتُ من تلك العبارة، لا من صدورِها من الشيخ:

=مجموعة جريدة البصائر السنة الثانية من السلسلة الأولى.

على أن الشيخ بن حلوش يميل إلى السفور المعتدل، وحرية المرأة وضرورة مشاركتها في الحياة العامة، والذي أكد عليه هو تعليمها وتهذيبها وتحسن سلوكها بالترتبية الإسلامية".

انضم إلى سلك التفتيش الابتدائي فعمل فيه مدة ثم تخلى عنه، ودخل في سلك أساتذة التعليم الثانوي وتقاعد سنة 1975م، توفي رحمه الله في: 18 يوليو 1980م. ينظر: من أعلام الإصلاح في الجزائر، محمد الحسن فضلاء، 244/1-250.

1 في البصائر، عدد 41، المنشور يوم: 14 شعبان 1355هـ الموافق: 30 أكتوبر 1936م، المجموعة الأولى، 329-331، 334.

2 مدينة الغرب بالجزائر تابعة لولاية معسكر، غير اسمها بعد الاستقلال فسميت: المحمدية. عند دخول الفرنسيين في المنطقة سميت بيريغو (بالفرنسية: Perrégaux) نسبة إلى: «ألكسندر شارل بيريغو»، لقبها المعمرون: بارييس الصغيرة، وعربها السكان المحليون: بباريشو.

3 في البصائر، 1/1/331.

(مصطفى حلُّوش)، بل لنشرها بين أعمدة جريدة «البصائر» التي هي لسان حال جمعية العلماء المسلمين!

ولاحظتُ ذلك على أستاذنا الجليل الشيخ (الطيب العُقبِي) بما نشره لي في عدد 43 من البصائر¹.

ومن حُسنِ الحظِّ نَشَرْتُ جريدةُ البصائر في ذلك العدد سؤالاً وجَّهه أحدُ تلامذة الجامع الأخضر للشيخ «حلُّوش»، يطلب بيانَ رأيه في الموضوع².

1 ليوم 28 شعبان 1355 هـ الموافق: 13 نوفمبر 1936 م، عدد: 43، المجموعة الأولى، 351/1، جاء فيها: «ملاحظاتي على البصائر: 2: جاء في مقال الشيخ مصطفى حلوش، الذي عنوانه: طواف وفد المؤتمر عند ذكر باريقو: وليست هذه الجماعة كالجماعات التي استقبلتنا في المدن السابقة، بل هي جماعة تمثلت فيها جميع عناصر السَّكان الموجودين في «باريقو»، ففيها المسلمون والنصارى واليهود، وكانت لطيفة بوجود الجنس اللطيف من المسيحيات واليهوديات فيها. ولولا عادة الحجاب الثقيلة لكان إلى جانبهن من جنسنا اللطيف المسلم عدد غير قليل. «كذا».

وكان الأولى به يا سيدي المحرر أن يقول: عادة الحجاب الشريفة، وإلا فمتى كانت عادة الحجاب ثقيلة عندنا معشر المسلمين؟ ومتى استقبلتها نساؤنا حتى يستقبلها رجالنا؟».

2 في العدد 43 المنشور يوم 28 شعبان 1355 هـ الموافق: 13 نوفمبر 1936 م، المجموعة الأولى، 349/1، قال فيه: «إلى مصطفى بن حلوش: سيدي الأستاذ مصطفى بن حلوش! سلام الله عليكم، وبعد، فقد اطلعت على مقالكم المنشور بعدد 41 من جريدتنا الفيحاء (البصائر)، فشكرت همتمكم العالية على تتبعكم لحركات وفد مؤتمرنا العزيز المفدَّى، في جولته بالإيالة الوهرانية، وتخليدكم لذكريات أعماله في الصحف.

لكن بينما أنا أسير في أودية مقالاتكم، إذ بخر يفاجئني في الطريق، وهو قولكم: «عادة الحجاب الثقيلة»، فتوقفت حينئذ.

والمرجو المؤكَّد الآن: من فضلكم أن تُبدوا لنا رأيكم في مسألة الحجاب والسفور للمرأة المسلمة، =

فسكت مُدَّةً حتى ظننته فضَّلَ السكوتَ عن الجواب، حيث لم يجد ما يؤيِّد مدَّعاه من آيات الكتاب، واستَحَى أن يعترف بخطئه، ويرجع إلى جادَّة الصَّواب، فأبطل ظنِّي ما نشره ذلك التلميذُ في عدد 49 من «البصائر»¹: من أن الشيخَ حلُّوشًا كتب إلى أحد زملائه بقسنطينة يسأله عن كاتب السُّؤال، ويسأله عن عنوانه ليجابوه برسالة خاصَّة، وأخبره صديقه بعنوان السَّائل، وطالت المدَّة، ولم يظفر منه بجواب، فعلمتُ إذن أن وراء الأكمَّة ما وراءها،

= وما ينتج كل منهما، ولا تدَّعوننا في هذا الموضوع حائرين، ولكم الشكر.

وتقبلوا فائق الاحترام والسلام. قسنطينة: م - ص - ر».

1 نشر في عدد 18 شوال 1355 هـ الموافق: 1 جانفي 1937م، عدد: 49، المجموعة الأولى، 400/1، جاء فيه: «حول مسألة الحجاب الثقيلة: كنا كتبنا كلمة طلبنا فيها الجواب من الأستاذ مصطفى بن حلُّوش، ليظهر لنا رأيه أو مذهبه في الحجاب، فراعَه ذلك - على ما نظنَّ - فكتب إلى أحد زملائه بقسنطينة يسأله عن كاتب السُّؤال، وأن يبعث له عنوان السَّائل ليجابوه برسالة خاصة، وكان الزميل يعرفني، فأخبرني بذلك، وأعطيته العنوان فراسله، وبقينا ننتظر الجواب مدة، وطال الأمد، ولم نحصل على جواب.

والحقيقة أيها الأستاذ: ما أخبركم به زميلكم من أني طالبٌ حقيقةً ليس إلا.

ولست بالكاتب القدير، ولا الناقد الخبير، بل ما أنا إلا تلميذ لا زلت أقرأ في طبقة الماكودي الأول، أريد منكم إيضاح هاته المسألة لنا، ودفع ما قد تنوهمه العامة فيكم من أنكم دعاة سفور أو فجور. وأنت على ما يظهر من دعاة الدين والإصلاح، بانتهاكم لجمعية العلماء المسلمين، ولا يخفاكم أن الأمة لها تعلق كبير بهاته الجمعية، وبجريدتها (البصائر) التي هي لسان حالها. فالأمة تحترم وتقُدِّس كلَّ ما ينشر في هذه الجريدة، وتعتقد أنه حق ودين، ولو لم يكن من ذلك في شيء.

والحاصل: أننا لا زلنا ننتظر منكم الجواب سرا أو علانية. قسنطينة: م - ص - ر - 41 - 41 -».

وأن الشيخ حلوشاً يريد التأثير بصديقه الذي شرب وإياه من منهل واحد على السُّدج والبسطاء، وأن يدعو إلى السفور بلباقة وبراعة تحت طي الخفاء، وغاب عنه أن التلاميذ يوجد فيهم - كغيرهم - من لا يخضع إلا عن بينة وبيان، ودليل وبرهان، كهذا التلميذ الذي لم تنطل عليه الشبهات، ولم يتأثر للمؤثرات.

وآية ذلك نشره السر للعيان، حتى أنزل الشيخ حلوش إلى الميدان، من حيث لا يدري حلوش ولا أنا والله! وكنت قبلاً أقول: عسى بنزوله ينكشف الغطاء، ويمتاز الصواب من الخطأ¹، ويزول الشك باليقين، وينكشف الصبح لذي عينين.

نزل الشيخ حلوش إلى الميدان، وكان المظنون عليه أن يرقع ما فتقه أولاً، فإذا به يمزقه كل ممزق، فينشر بجريدة «البصائر»، عدد 53 و54 مقالا تحت عنوان: «حجاب المرأة عادة لا دين²» كذا.

وهذا العنوان ألعن من كلمة الحجاب الثقيلة، ولو كان قائله في بلد الإسلام، - وهو ينتسب للعلم والعلماء - لحاكموه على هذا التصريح الذي

1 الخطاء لغة في الخطأ. ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، 1843/3.

2 نشر العدد 53 يوم 17 ذو القعدة 1355 هـ الموافق: 29 جانفي 1937، المجموعة الأولى، 24/2-25، ونشر العدد 54 يوم 24 ذو القعدة 1355 هـ الموافق: 5 فيفري 1937، المجموعة الأولى، 33-36/2.

هو إنكار لمعلوم من الدين، وسأبين ذلك بعد.

ورغمًا عما جاء في مقال الشيخ «حلوش» من الأدلة التي هي خارجة عن محل النزاع، فأنا مُصِرٌّ على أن الحجاب من الإسلام، والمبالغة التي سلكها الناس فيه سداً لذرائع الفساد، وإن كانت هذه المبالغة غير متفق عليها بين العلماء، فهي عادة شريفة موجودة في العرب وغيرهم من الأمم الأخرى كال يونان، وقد جاء في «قاموس لاروس»: «كانت نساء اليونان يستعملن الخمار إذا خرجن، ويُخفين وجوههن، وكانت النساء تستعمله في القرون الوسطى».

وقد كان موجودا عند كثير من العرب، قال الشيخ مصطفى الغلاييني:
«وما يدل عليه ما قاله الربيع بن زياد العبسي يرثي مالك بن زهير:

مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ
فَلْيَأْتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ مَهَارٍ
يَجِدُ النِّسَاءَ حَوَاسِرًا يَنْدُبْنَهُ
يَلْطُمْنَ أَوْجِهَهُنَّ بِالْأَسْحَارِ
قَدْ كَنَّ يُجْبَانُ الْوَجُوهَ تَسْتُرًا
فَالْيَوْمَ حِينَ بَرَزْنَ لِلنُّظَارِ
يَضْرِبْنَ حُرَّ وَجُوهَهُنَّ عَلَى فِتْيِ

عَفَّ الشَّائِلَ طِيبَ الْأَخْبَارِ¹

وقد كان الحجاب في الشرائع الأولى، ودلت كتب التاريخ والأديان على أن «سارة» زوج «إبراهيم الخليل» صلوات الله عليه، حين أراد الضيف تبشيرها بالحمل، كانت البشارة بواسطة زوجها، ولم يخاطبها بنفسه، ولما أرسل إبراهيم (اليهازر) ليخطب بتا لابنه «إسحاق»، وتوجه لمدينة (ناحور) وخطب ابنة أخ «إبراهيم» التي تُسمى (رفقا)، وعاد بها إلى (فلسطين)، حيث يوجد «إسحاق»، فلما رآته أخذت البرقع وحجبت وجهها عنه، وقد تلفتت² (ثامار) بثيابها، وتحجبت برقعها³ عند ما رآها (يهوذا) بن (يعقوب) بن إسحاق عليهم السلام حين مروره بها.

أما في الشريعة الإسلامية فقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ﴾ [الأحزاب: 59]، الآية نص صريح في الحجاب.

وقد قسم الشيخ (مصطفى الغلاييني⁴) الحجاب إلى ثلاثة حجب في كتاب:

1 ينظر: الأمثال للضبي، ص 88-89، والتعازي والمراثي، ص 162-163.

2 الألفاع والتلفع: الألتحاف بالتؤب. ينظر: لسان العرب، 8/320.

3 يقال: البرقع والبرقع، وهو غطاء الوجه، قال في لسان العرب: «وتلبسها الدواب وتلبسها نساء الأعراب وفيه خرقان للعينين». ينظر: لسان العرب، 8/9.

4 هو الشيخ مصطفى بن محمد سليم الغلاييني: عالم وشاعر، من أعضاء المجمع العلمي العربي، تتلمذ للشيخ محمد عبده، عين خطيباً للجيش الرابع العثماني في الحرب العالمية الأولى، ونُصّب رئيساً =

لباب الخيار¹ فقال: «اعلم أن الحجاب ثلاثة حجب: حجاب يراد به أن لا يكون بين النساء والرجال اختلاط إلا مع ذي محرم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، إِلَّا مَعَ ذِي مُحْرَمٍ» رواه البخاري²، وهذا عامٌ لنساء النبي وغيرهن.

ولم يخالف في ذلك أحدٌ من المسلمين.

وحجاب يراد به سترُ المرأة جميعَ بدنِها إلا الوجهَ والكفين، وزاد بعض العلماء القدمين للفقيرات اللواتي تدعوهن الضرورة إلى العمل في المزارع وغيرها، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْكِحَ غَيْرَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ بَنَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ الَّتِي أَتَيْنَكُمْ مِنَ الْكُفْرَانِ لَمَّا كَانَتْ أُمَّهَاتٍ لَكُمْ مِنْ قَبْلُ وَأَلْفَتْنَ الْكُفْرَانَ فَغَيْرَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبَنَّ عَلَيْهَا تُرْسَاتُ الْحُجُوبِ وَلَا يَزُولُ مِنْهُنَّ مَلْحٌ وَلَا حُلٌّ﴾ [الأحزاب: 59]، وقوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبَنَّ عَلَيْهُنَّ جُيُوبَهُنَّ﴾ [الأحزاب: 31].

وحجابٌ يُرادُ به أن تسترَ المرأةُ جميعَ بدنِها حتى وجهها وكفيها، وهذا خاصٌ بنساء النبي.

= للمجلس الإسلامي ببيروت، وقاضيا شرعيا إلى أن توفي. من كتبه لباب الخيار في سيرة النبي المختار، ونظرات في كتاب السفور والحجاب. مات سنة: 1364 هـ / 1944 م. ينظر: الأعلام، 244/7-245.

1 ليس النقل من هذا الكتاب، بل من كتاب نظرات في كتاب السفور والحجاب كما سيأتي.

2 صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم والدخول على المغيبة، 396/3.

ثم رأى جمهور علماء الأئمة بعد ذلك أن يعمّ هذا الشكل من الحجاب غيرهن أيضا عند ما رأوا الحاجة ماسّة إلى ذلك، ولكنهم لم يُوجبوه مطلقا، بل حيث تدعو إليه الضرورة، كالمُدن التي فسدت فيها الأخلاق، فلم تُؤمن فيها الفتنة، ولم نَر منهم من نهى على نساء البوادي والقرى كشف وجوههن وأيديهن وأقدامهن¹». اهـ.

ومن هذا يتّضح للقارئ أن حجاب المرأة دينٌ، لا محض عادة، كما زعم الشيخ حلّوش، الذي أراد أن يحكم ببطلان الكليّ لبطلان بعض جزئياته، وهذا الشيخ «رشيد²» رحمه الله الذي نقل الشيخ حلّوش بعض نقول من كتابه الذي نسّميه ويسمّيه الناس: «نداء إلى الجنس اللطيف يوم المولد الشريف، في حقوق النساء في الإسلام»، ويسميه الشيخ حلّوش بكتاب: «حقوق النساء في الإسلام»، قال: «كلّ ما استحدثته الناس في المُدن والقرى الكبيرة من المبالغة في حجب النساء هو من سدّ الذريعة، لا من أصول الشريعة³».

فأنت ترى أنّ الشيخ «رشيداً» يجعل للحجاب أصلا في الشريعة، ويجعل المبالغة فيه سداً للذريعة.

1 نظرات في كتاب السفور والحجاب، بتصرف، ص 52-54، 179-185.

2 هو: محمد رشيد بن علي رضا القلموني، البغدادي الأصل، صاحب مجلة المنار، وتفسير المنار، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. عالم مفسر فقيه، لازم الشيخ محمد عبده وتتلّمذ له. مات سنة: 1354 هـ

/ 1935 م. ينظر: الأعلام، 126/6.

3 حقوق النساء في الإسلام، ص 182.

والشيخ حلُّوش - مع أخذه بعض نقولٍ من كتابِ الشَّيخِ رشيدٍ - يقول:
«حجاب المرأة عادة لا دين...».

فلست أدري هل الشيخ حلُّوش لم يُدعِنْ لقولِ الشَّيخِ رشيدٍ؟ أم لم يفهمه؟
أم تغافل عنه لحاجة في نفسه؟

لا أظن أن الشيخ حلُّوشاً لم يفهم كلامَ الشَّيخِ (رشيدٍ رِضاً) رحمه الله، لخلوِّ
كلامِ الشَّيخِ رشيدٍ من الغموض الناشئ من المصطلحات العلمية غالباً، ولأن
الشيخ حلُّوشاً يفهم، ولا أظنه لم يطلِّع عليه، لأن الفصل الذي نقل منه عن
الشيخ «رشيدٍ» عدمَ وجوبِ سِتْرِ الوجه والكفين، هو الذي أثبت فيه الشيخُ
«رشيدٌ» مشروعية الحجابِ ضِمنًا، حيث قال: «كل ما استحدثه الناس في
المدن والقرى من المبالغة في حجب النساء... إلخ»، فلماذا يقول حلُّوش بكل
جَرَاءَةٍ: حجاب المرأة عادة لا دين؟! !! أتركَّ الجواب عن هذه المسألة أو المهزلة
لأعضاء جمعية العلماء، وعلى الخصوص رئيسها الجليل؟.

أخذ حلُّوش يسرد الأقوال في عدمِ وجوبِ سِتْرِ المرأة لوجهها وكفَّيها،
حتى وصل إلى قولِ أمِّ المؤمنين عائشةَ - رضي الله عنها: «لَوْ أَدْرَكَ رَسُولُ اللَّهِ
صلى الله عليه وسلم، مَا أَحَدَثَ النِّسَاءُ، لَمَنَعَهُنَّ مِنَ الْمَسَاجِدِ، كَمَا مُنِعَ نِسَاءُ بَنِي
إِسْرَائِيلَ¹».

1 رواه مالك في الموطأ، ومن طريقه البخاري في صحيحه، وغيرهما. ينظر: الموطأ، كتاب القبلة، باب ما
جاء في خروج النساء إلى المساجد، ص 125، وصحيح البخاري، كتاب الأذان، باب انتظار الناس
قيام الإمام العالم، 219/1.

قال: «قد رأى العلماء أن لا حُجَّةَ في قول عائشة، ومنهم ابنُ حزم¹، وقد رده بأربعة وجوهٍ رابعها²: أن الإحداث إنما هو لبعض النساء... إلخ».

هنا يسأل القارئ لماذا أخفى حلوش أسماء هؤلاء العلماء الذين رأوا أن لا حُجَّةَ في قول أم المؤمنين؟ ولماذا أظهر ابن حزم دون غيره؟ ألاَّ ظاهري، أم ماذا؟! ولماذا طوى تلك الأوجه الثلاثة التي ردَّ بها ابن حزم، ولم يذكر إلا رابعها؟ مع أن هذا الوجه الرابع الذي يحقق الإحداث لبعض النساء دون البعض فيه الكفاية للدلالة على عدم الخروج إذا راعى سدَّ الذريعة.

وعلاوة³ عليه: إن ابن حزم الذي احتجَّ حلوش بقوله، ليست آراؤه بحُجَّةٍ عند المحققين من علماء الدين⁴،

1 هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب، أبو محمد، من أهل قرطبة، كان حافظا عالما بعلوم الحديث وفقهه، متفنا في علوم حجة، روى عن القاضي: يونس بن عبد الله، من كتبه: المُحَلَّى، مات سنة 456هـ. ينظر: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم، ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، 2/31-33، وبغية المتلمس، ص: 364-366.

2 ناقش الإمام ابن حزم هذه المسألة في كتابه المُحَلَّى، 4/200-202، ورَدَّ ذلك من ثمانية وجوه.

3 علاوة كل شيء: ما زاد عليه. ينظر: لسان العرب، 15/89.

4 رحم الله الإمام الذهبي، الإمام المصنف، لما حكَمَ بينها قال: «قلت: لم ينصف القاضي أبو بكر - رحمه الله - شيخ أبيه في العلم، ولا تكلم فيه بالقسط، وبالغ في الاستخفاف به، وأبو بكر فعلى عظمته في العلم، لا يبلغ رتبة أبي محمد، ولا يكاد، فرحمهما الله وغفر لهما» ثم قال: «قال اليسع ابن حزم الغافقي - وذكر أبا محمد - فقال: أما محفوظه: فبحر عجاج، وماء ثجاج، يخرج من بحره: مُرْجَانُ الحِكم، ونبت بَشَجَاحِهِ أَلْفَافُ النعم في رياض الهمم، لقد حفظ علوم المسلمين، وأربى على كل أهل دين، وألَفَ: الملل والنحل...». سير أعلام النبلاء، 18/190.

وكلام الأقران يطوى ولا يروى، وكلاهما إمام نفع الله به، فرحمهما الله رحمة واسعة.

فهذا القاضي أبو بكر ابن العربي¹ حذّر الناس من آراء ابن حزم وكتبه، ناهيك أنه قال في الجزء الثاني من كتاب «العواصم من القواصم» عن كتاب (المحلّي) لابن حزم: «كتاب المحلّي»².

ونحن وإن كنا نقدّر قيمة ابن حزم العلميّة وفلسفته، لكننا لا نجرؤ أن نردّ برأيه قول أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي قال فيها صلى الله عليه وسلم: «خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء»³.

ثم يقول حلّوش: «وليس منها هذا الحجاب الثقل الذي قُصد منه في

1 هو محمد بن عبد الله بن محمد، الإمام أبو بكر بن العربي المعافري، الحافظ أحد الأعلام، له رحلات إلى المشرق، من شيوخه: أبي بكر الطرطوشي، روى عنه أبو زيد السُّهيلي وغيره، من تصانيفه: أحكام القرآن، مات سنة 543هـ. ينظر: طبقات المفسرين، جلال الدين السيوطي، ص: 90-91، وطبقات المفسرين الداودي، 2/ 162-166.

2 قال الإمام ابن العربي في العواصم من القواصم، ص 258: «وليخرجوا دقائق المحلّي بالحاء المهملة، فعندنا فيه نقطة واحدة فوق حائهم، وأخرى تحت جيمننا، فتجلى به ما يقتضي أن يكون كتابهم متروكا لا يلتفت إليه».

3 قال الإمام ابن كثير: «وأما الحديث الثاني، وهو «خذوا شطر دينكم عن الحميراء»، فهو حديث غريب جدا، بل هو منكر، سألت عنه شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزنيّ وقال: لم أقف له على سند إلى الآن. وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: هو من الأحاديث الواهية التي لا يعرف لها إسناد». ينظر: تحفة الطالب، ص 170. مع أن منزلة أم المؤمنين في الفقه عالية معلومة. قال أبو بردة بن أبي موسى عن أبيه: «ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها فيه علما، وقال الزهري: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل». ينظر الإصابة لابن حجر، 8/ 140.

الأول: سدُّ ذريعة الفساد... فلم يتحقّق منه ما قصد، بل قد أصبح عَوْنًا لبعض النساءِ على الوقوع في الآثام...¹ إلخ.

نُسِّمُ جدليًّا للشيخِ حلُّوشٍ أن القصدَ من هذا الحجابِ لم يتحقّق، ولكن هل إذا تسرّب الداءُ للجسمِ مع اتّخاذِ الحِمِيَّةِ، تترك الحِمِيَّةُ؟

أما ما يدّعيه من أنه عون لبعض النساء على الوقوع في الآثام، فهو مقلد في هذه النظرية لدعاة السفور والفجور، والعقل يحكم بأفئ² رأيهم، لأن القصد من البرقع أن يحجب المرأة عن العيون، بحيث تُبصر غيرَها ولا يُبصرُها، حتى لا يفتنن بها، لذلك أباح لها الفقهاء تركه عند أمن الفتنة.

1 البصائر، عدد 54، المجموعة الأولى، 36/2.

2 الأفئ: بالتحريك ضعفُ الرأي وقد أفئ الرجل بالكسر، وأفئ فهو مأفون وأفئ، ورجل مأفون: ضعيفُ العقل والرأي. لسان العرب، 19/13.

(4) حجاب المرأة دين

والمبالغة فيه عادة شريفة في الإسلام وقبلة¹ (2)

أبيح للمرأة ترك البرقع عند أمن الفتنة، لأن الناظرين إذا اقتنوا بها نصبوا كل جباله لاصطيادها، مع إرسالهم النظرة بعد النظرات، والزفرة إثر الزفرات، لعدم مقدرتهم على كتمان عواطفهم، وهذا دأب الرجل منذ خلق الله السماوات والأرض.

فلولا قيس ونظراته وزفراته وأبياته لما افتضحت ليلي بالحب، وقلما يقرأ القارئ في التاريخ حادثة من حوادث الغرام أو الفجور والآثام، ولا يجد الرجل أول داعٍ إلى تمثيل أدوارها، إذ المرأة تتظاهر غالباً بالرغبة عن الشيء، والرجل يتجاهر بالرغبة فيه، ولن تجد امرأة في الألف - غير بغي - تجسر على مد يدها للرجل إلا ما شدد، أو كان لحكمة بالغة فوق إدراكات البشر، كمرودة زليخاء ليوسف عليه السلام.

لهذا ألزم الفقهاء المرأة بالبرقع إذا استشرى الفساد، لأنه السلاح الذي تقاوم به المرأة فسقة الرجال، ويلجئهم للغص من أبصارهم، أما هي فيغص من بصرها جمال الأنوثة، المتكوّن من الحفر² والحياء.

1 البصائر، عدد 58، 29 ذو الحجة 1355 هـ الموافق: 12 مارس 1937م، المجموعة الأولى، 64/2-65.

2 الحفر بالتحريك: شدة الحياء، تقول منه حفر بالكسر وحفرت المرأة حفرًا وحفارة. ينظر: لسان العرب 53/3.

ثم إن أولئك الفقهاء الذين حاول حلُّوشُ تسفيه آرائهم - ولم يستطع ولن يستطيع -، لهم ما يتمسكون به من الآثار فيما ذهبوا إليه على خلاف فيه، أخرج ابن جرير¹ وابن أبي حاتم² وابن مردويه³ عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ فُلٌ لِأَزْوَاجِكَ﴾ [الأحزاب: 59] الآية. قال: «أمر الله النساء المؤمنات إذا خرجن من بيوتهن في حاجة، أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب، ويبدین عیناً واحدة».

وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي، قال: «كان رجل من المنافقين يتعرض لنساء المؤمنين ويؤذيهن، فإذا قيل له، قال: كنت أحسبها أمة، فأمرهن الله أن يخالفن زيَّ الإمام، ويؤذنين عليهن من جلابيبهن، تحمّر وجهها إلا إحدى عينيها⁴».

وأخرج عبد الرزاق⁵ وعبد بن حميد⁶ وأبو داود⁷ عن أم سلمة قالت: «لما نزلت هذه الآية: ﴿يُذْنِبِينَ عَلَيْنَهُنَّ مِنَ الْجَلْبِيبِ﴾ [الأحزاب: 59] خرج نساء

1 تفسير الطبري، 207/22.

2 تفسير ابن أبي حاتم، 3154/10.

3 الدر المنثور، 141/12.

4 الطبقات الكبير، 169/10.

5 تفسير عبد الرزاق، 51/3.

6 الدر المنثور، 141/12.

7 سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب في قوله تعالى: ﴿يُذْنِبِينَ عَلَيْنَهُنَّ مِنَ الْجَلْبِيبِ﴾، ص 858.

الأنصارِ كأنَّ على رؤوسهنَّ الغربانَ من السَّكينة¹، وعليهنَّ أكسيَّةٌ سودٌ يلبسْنَها²».

وأخرج ابنُ مردويه عن عائشة، قالت: «رحم الله نساءَ الأنصارِ لما نزلت: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ﴾ [الأحزاب: 59] الآية، شققنَ مُرُوطهنَّ³ فاعتجرنَ⁴ بها، وصلينَ خلفَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، كأنَّما على رؤوسهنَّ الغربانُ⁵».

ولنفرض أن ليسَ لهؤلاء الفقهاء أصلٌ يُتمسكُ به في هذا المقام، فإنَّ لهم من علمِ الأصولِ قواعدَ تنطبق على هذه القضية، ولا ينكر تلكَ القواعدَ إلا من لم يفقه أسرارَ الشريعة الإسلامية، فإذا قال لهم مثلاً (حلُّوش): أن السُّفورَ فيه مصلحة، يقولون له: نعم، وفيه مفسدة أيضاً، ودرءُ المفاسدِ مُقدِّمٌ على جلبِ المصالح⁶، وهبْ أن السُّفورَ سالمٌ من المفسدة، فهو وسيلةٌ إليها، فسدًّا للذريعة

1 قال الشوكاني: «هكذا في الزوائد بلفظ: «من السكينة»، وليس لها معنى، فإن المراد: تشبيه الأكسية السود بالغبان، لا أن المراد وصفهن بالسكينة كما يقال: كأن على رؤوسهم الطير. تفسير الشوكاني، 352/4.

2 ينظر أيضاً: تفسير ابن أبي حاتم، 3154/10.

3 المرطُ: كساء من خَزَّ أو صُوف أو كَتَّان، وقيل: هو الثوب الأخضر، وجمعه مُرُوطٌ. ينظر: لسان العرب، 401/7.

4 المعجَّر والعجَّارُ: ثوب تُلْفُه المرأة على استدارة رأسها، ثم تَجَلَّبَّبُ فوقه بجلبابها، والجمع: المعاجِرُ، ومنه أخذ الاعتجَّارُ، وهو: لِيُّ الثوب على الرأس من غير إدارة تحت الحنك، وفي بعض العبارات: الاعتجَّارُ: لَفُّ العمامة دون التَّلْحِي. ينظر: لسان العرب، 544/4.

5 الدر المشور، 142/12.

6 قاعدة فقهية، دليلها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم»، ومعناها: إذا تعارضت مفسدة ومصلحة، قدِّم دفع المفسدة على جلب =

يُعدّل عنه.

ثم يقول (حلوش): «ولقد كانت صيانة المرأة تتحقّق وكرامة البيت تُحفظ لو فرضنا على المرأة بدّل الحجاب أن تتعلّم...¹». إلخ.

وَدِدْتُ لو أنّ (حلوش) أوّل مرّة في مقالِهِ: «طَوَافُ وَفِدِ الْمُؤَمَّرِ»، بدّل أن يتأسّف على عدم سفورِ المرأة المسلمة، لعدم مشاركتها لليهودية والنصرانية في احتفال (باريقو)، تأسّف على عدم تعليمها، لكنّه - هداهُ اللهُ - تأسّف - إذ ذاك - على عدم سفورِها، ولمّا أدرك سوءَ مغبّته، أخذ يذُر الرّمادَ في العيون، بنقل الأقوال التي تدلُّ على إباحة كشفِ المرأة للوجه والكفين، ويدعو إلى تعليمها بدّل الحجابِ.

ونحن لم ننازعه في تعليمها، والدعوة إليه، ولا في كشفها للوجه والكفين أو لا، وإنما نازعناه في الدعوة إلى السّفور بذلك الأسف العميق، والكلام المُجمل الذي يحتاج إلى بيانٍ وتفصيلٍ، ولما أتى يبيّن ما أجهلته²، أنكر مشروعية الحجاب

= المصلحة غالباً، وذلك أن الشارع الحكيم اعتنى بالمنهيات، وعدم قربانها، أشد من اعتناؤه بالمأمورات والإتيان بها. ينظر: صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم: 7288، 399/4، ومسلم، كتاب الفضائل، باب توقيره صلى الله عليه وسلم، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو ذلك، رقم: 6113، 6114، 6115 ص 986. والأشباه والنظائر للسيوطي، ص 127، وشرح القواعد الفقهية للزرقا، ص 205-206.

1 البصائر، عدد 54، المجموعة الأولى، 36/2.

2 أي: بين ما تركه وأهمله، يقال: أبهّل الرجل: تركه، ويُقال: بهلته وأبهلته إذا خلّيته وإرادته، وأبهل الناقة: أهمّلها. لسان العرب، 71/11.

بالمرة، واتخذ مسألة ستر الوجه والكفين، التي هي جزئية من جزئيات الحجاب، وهي مسألة خلافية كناقض اليربوع¹، ليدخل منها كيف شاء، ويخرج منها كيف شاء.

فها أنا ذا جازيته فيها أيها القارئ الكريم كما ترى، حتى كادت أن تنسد عليه في خصوصها منافذ الأهواء، وهبه وجد ملجئاً أو مغاراتٍ أو مدخلاً في هذه الناقضات، فماذا عساه أن يجيب عن إنكاره لمشروعية الحجاب في قوله: «الحجاب عادة لا دين؟»

وماذا عساه أن يجيب عن قوله: «ثم هي بعد ذلك تحكم حكماً في الحجاب المفروض عليها أخيف أم ثقيل؟²»، هذا القول الذي هو ألعن من سابقه، حيث أسند فيه الحكم للمرأة وأهوائها في الحجاب، وهو اعتداء منه وتناول صريح على السنة والكتاب، والكتاب ينطق بالحق: ﴿وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: 51]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْبَاسِقُونَ﴾ [المائدة: 49].

ولا أظن أحداً من أنصار المرأة المسلمية - ولو رزق الشجاعة الأدبية بأتم

1 الناقضات: موضع يرققه اليربوع من جحره، فإذا أتى من القاصعاء، ضرب الناقض برأسه فخرج. قال ابن الأنباري: «وأما القاصعاء، فإنما قيل له ذلك، لأن اليربوع يخرج تراب الجحر، ثم يسد به فم الآخر؛ من قولهم: قد قصع الجرح بالدم: إذا امتلأ به». المحكم، 448/6، والزاهر في معاني كلمات الناس، 182/1.

2 البصائر، عدد 54، المجموعة الأولى، 36/2.

معناها، ودعا إلى السُّفور علانية من غير مشاغبة ولا مراوغة - يجسرُ جسارةً (حلوش) فينكرُ مشروعيةَ الحجابِ، فهذا (قاسمُ أمين¹) إمامهم - رحمه الله، - مع دفاعه عن المرأة - يعترف بمشروعيةَ الحجاب، قال - رحمه الله -: «ربما يتوهم ناظرٌ أنني أرى رفع الحجاب بالمرّة، ولكنّ الحقيقة أنني أدافع عنه، وأعتبره أصلاً من أصول الآداب التي يلزمُ التمسُّكُ بها، غير أنني أطلب أن يكون منطبقاً على ما جاء في الشريعة الإسلامية، وهو في تلك الشريعة يخالف ما تعارفه الناسُ عندنا، لأننا تغالينا في طلب التحجّب والتحرّج من ظهور النساء لأعين الرجال، حتى حرّمنا المرأة من كلّ المزايا العقلية الأدبية، فتجاوزنا حدودَ الشريعة، وأضررنا بمنافع الأمة، وإني أرى أن الغربيين قد غلّوا في إباحة التّكشّف للنساء إلى درجة يصعب معها أن تُصان المرأة لمآرب² الشهوة، وما لا ترضاه عاطفةُ الحياء، وبين هذين الطرفين وسط، وهو الحجاب الشرعي، وهو الذي أدعو إليه³».

هكذا يقول (قاسمُ أمين) رحمه الله: «الحجابُ الشرعي»، ويقول

1 هو: قاسم بن محمد أمين المصري، كردي الأصل، كاتب باحث، اشتهر بمناصرتة للمرأة ودفاعه عن تحررها من الحجاب الشرعي، نشأ وتعلم بالإسكندرية، ثم بالقاهرة، ثم أكمل دراسة الحقوق في فرنسا، وفي سنة: 1885 عاد إلى مصر، وعمل وكيلاً للنائب العمومي بالمحكمة المختلطة، فمستشاراً بمحكمة الاستئناف، من كتبه: تحرير المرأة، والمرأة الجديدة. توفي بالقاهرة سنة: 1908 م. ينظر: الأعلام للزركلي، 184/5.

2 في المطبوع: «المثارات».

3 تحرير المرأة، لقاسم أمين، ص 37.

(حلّوش): «حجاب المرأة عادة لا دين !!»، فلو أنه أنكر جزئيةً من جزئيات الحجاب التي هي محلُّ خلاف بين العلماء، كمسألة الوجه والكفين لتركته وشأنه، وقلت: لكلُّ وجهةٌ هو مولّيها، ولكل طريقة هو متبّعها، أنا أتبع من يقول بستر الوجه والكفين، فلا أسمح لإحدى النساء اللاتي لي سلطة عليهن بالعدول عن تلك الكيفية، لاسيما في الوَسَطِ الجزائريّ، أما هو -وهو يتبع من يقول بكشفها- فليأمر النساء اللاتي له سلطة عليهن بذلك، ليطبّق قوله فعله. لكنّه -هداه الله- أنكرَ مشروعَ الحجاب بالمرّة، ولا أظن أحدَ المستشرقين المطلّعين على الدّيّانة الإسلاميّة ينكرُ وجودَ الحجاب فيها، فضلا عن أحدِ بَنِيها.

هذا وليَعْلَمَ دعاةُ السُّفور أن الحجابَ دينٌ لا عادةٌ، ولأقسامه الثلاثة التي قدّمناها في صدر المقال، نقلا عن كتاب: لُبَابِ الحِيارِ، أصلٌ في الدّينِ، ولنا مقدِرةُ الدِّفاعِ عنه بالدّينِ، والعلمِ والعقلِ، لا بالميلِ والدُّوقِ والطَّبَعِ. وقبل لَفِّ هذا البِساطِ أضعُ بين يدي القُرّاءِ ثلاثَ نِقاطٍ، وأرغَبُ من الشّيخِ (مصطفى حلّوش) الإجابةَ عنها.

1- أليس قولك في مقالك: «طواف وفد المؤتمر»: «ولولا عادة الحجاب الثقيلة لكان إلى جنبهن من جنسنا اللطيف المسلم عددٌ غيرٌ قليلٍ»: تبرُّما من حجاب المسلمة، وأسفا منك على عدم وقوفها بارزة للنظّار مع اليهوديات والنصرانيات من غير شرط ولا قيد؟

2- أليس قولك: «حجاب المرأة عادة لا دين» إنكارا لمشروعية الحجاب؟

3- أليس قولك: «ثم هي تحكم حكمها في الحجاب أخفيف أم ثقيل؟»:

رَدًّا لِحُكْمِ الْمُتَنَازِعِ فِيهِ إِلَى الْمَرْأَةِ؟ وَالْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 58].

الوادي: (حمزة بوكوشه).

(5) حجاب المرأة دين

وستر وجهها من الدين، والمبالغة في حجابها عادة شريفة عند المسلمين،
فعلى من تدجلون أيها المتنطعون!¹

عندما قرأت كلمة: «عادة الحجاب الثقيلة» بجريدة «البصائر» الغراء، لاحظت عليها سراحاً خوفاً انتشار شررها، وإكثار القالة في «جمعية العلماء» من أجلها، - وإن كانت الجمعية براءً من كل ما لم يُنشر باسمها -، إلا أن سكوت جميع المنضويين تحت لوائها عن منكر من القول وزور ينشر في صحيفتها «الرسمية» تعدد الأمة إقراراً ورضى من الجمعية، فتنشأ عن ذلك فتنة، لا تصيبن الذين ظلموا خاصة، ويؤخذ الجار بجرم الجار.

وَجُرْمٌ جَرَّهُ سَفَهَاءُ قَوْمٍ فَحَلَّ بِغَيْرِ جَارِمِهِ الْعَذَابُ²

لاحظنا على تلك الكلمة الآثمة، وأحسننا الظن بقائلها الشيخ (حلوش)، وحملناها على محمل حسن، بتكلف وحنأ له، (وخير الكلام ما كان حناً³)، فقلنا له: هلاً قلت: «عادة الحجاب الشريفة»، وكنا في ذلك نريد حمل كلامه على ما تعودده كثير من الناس من حبس النساء في البيوت، اقتداءً بأُمَّهات المؤمنين رضي الله عنهن، اللاتي نزل فيهن: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب:

1 البصائر، عدد 62، ليوم 27 محرم 1356 هـ الموافق 9 أبريل 1937 م، المجموعة الأولى، 2/96-98.

2 البيت لأبي الطيب المتنبي. ينظر: شرح ديوان المتنبي للبرقوقي، 1/210.

3 من الأمثال السائرة، ومعناه: خير الحديث ما فهمه صاحبه الذي تحب إفهامه وحده، وخفي على غيره. ينظر: الأمالي للقالبي، 1/6، ومجمع الأمثال، 2/255.

[33]، «يعني: اسكنَّ فيها، ولا تتحركن، ولا تَبْرَحْنَ منها، حتى إنه رُوي - ولم يصح - أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم، لما انصرف من حَجَّةِ الْوَدَاعِ، قال لأزواجه: «هذه، ثم ظُهُورُ الْحُصْرِ»¹ إشارة إلى ما يلزم المرأة من لزوم بيتها، والانكفاف عن الخروج منه إلا لضرورة»، كما قال القاضي (أبو بكر بن العربي) في أحكام القرآن²، لكن (سي حلوش) لم يَسْتَقِ من عَفْوَتِهِ، ولم يرجع عن هَفْوَتِهِ، حيث أخذ يخوض في السُّفور والحجاب بغير علم ولا فهم،

1 أي: إنكن لا تعدن تخرجن من بيوتكن وتلزم الحُصْر، هي: جمع الحُصْرِ الَّذِي يَبْسُطُ فِي الْبَيْتِ، وتضم الصاد وتسكن تَخْفِيفًا.

والمقصود به ما رواه أبو داود وغيره في باب فرض الحج، عن زيد بن أسلم عن ابن أبي واقد الليثي عن أبيه قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول لأزواجه في حجة الوداع: «هذه ثم ظُهُورُ الْحُصْرِ».

قال الذهبي: واقد بن أبي واقد الليثي، عن أبيه: تفرد عنه زيد بن أسلم، حديثه قال صلى الله عليه وسلم لنسائه: «هذه ثم ظُهُورُ الْحُصْرِ». وهذا منكر، فما زلن يحججن. ميزان الاعتدال، 330/4. هذا وقد منعهن عمر رضي الله عنه من ذلك. روى البخاري في صحيحه فقال: «وقال لي أحمد بن محمد، حدثنا إبراهيم، عن أبيه، عن جده: أَدَنَّ عمر رضي الله عنه، لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم في آخر حجة حجَّها، فبعث معهن عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف». ينظر: صحيح البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب حج النساء، برقم: 1860، 27/2. قال ابن حجر: «والعذر عن عائشة أنها تأوَّلت الحديث المذكور كما تأوَّله غيرها من صواحبها، على أن المراد بذلك: أنه لا يجب عليهن غير تلك الحجَّة، وتأيِّد ذلك عندها بقوله صلى الله عليه وسلم: «لكن أفضل الجهاد: الحج والعمرة»، ومن ثمَّ عقبه المصنف بهذا الحديث في هذا الباب، وكأن عمر رضي الله عنه كان متوقفا في ذلك، ثم ظهر له الجواز فأذن لهن، وتبعه على ذلك من ذكر من الصحابة، ومن في عصره من غير نكير». ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 134/9، وفتح الباري، 74/4.

2 أحكام القرآن لابن العربي، 3/568-569.

والعرب قالت: «قبل الرمي يُرَأْسُ السَّهْمِ¹».

كُنَّا نَظُنُّهُ إِذْ فَسَّرَ عَادَةَ الْحِجَابِ الثَّقِيلَةِ، يَفْسِّرُهَا: بِمُكْوِثِ النَّسَاءِ فِي الْبُيُوتِ،
إِنْ كَانَتْ لَهُ أَثَارَةٌ مِنْ عِلْمٍ، أَوْ يَسْكُتَ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بَتَاتًا لِيَسْلَمَ.

إِنَّ السَّلَامَةَ مِنْ سَلَمَى وَجَارَتِهَا أَنْ لَا تَحِلَّ عَلَى حَالٍ بَوَادِيهَا²

لَكِنَّ الْمَغْرُورَ سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ التَّوَعُّلَ فِي وَادٍ يَجْهَلُ شِعَابَهُ، وَالْإِفْتَاءَ فِي شَرْعٍ
لَا يُحْسِنُ سُنَنَهُ وَأَدَابَهُ، فَكُتِبَ مَقَالًا تَحْتَ عُنْوَانٍ: «حِجَابُ الْمَرْأَةِ عَادَةٌ لَا دِينَ³».

وهذا العنوانُ نفسه إنكارٌ لمشروعيةِ الحِجَابِ بأنواعِهِ، وَكُنَّا ظَنَنَّا قَائِلَهُ (سِي
حُلُوشُ) يُحْسِنُ الْعَرَبِيَّةَ، فَقَلْنَا لَهُ: يَا هَذَا إِنَّكَ أَنْكَرْتَ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْحِجَابِ،
وَرَدَدْنَا عَلَيْهِ بِمَا قَرَأَهُ قُرَّاءَ (البصائر) تَحْتَ قَوْلِنَا: «حِجَابُ الْمَرْأَةِ دِينٌ...» إلخ.
فَتَنَّبَهَ - إِذْ ذَاكَ - الْمَغْرُورُ إِلَى أَنَّ فِي الْإِسْلَامِ شَيْئًا يُقَالُ لَهُ الْحِجَابُ، وَلَكِنْ لَهُ
أَنْوَاعٌ، وَلَكِنَّهُ تَحْيِيرٌ فِي أَمْرِهِ أَيْعْتَرَفُ بِالخَطَأِ، وَهُوَ يَدَّعِي أَنَّهُ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا³،

1 يضرب هذا المثل في تهيئة الآلة قبل الحاجة إليها، وهو مثل قولهم: «قَبْلَ الرَّمَاءِ تُمْلَأُ الْكِنَائِنُ»،
وَالْكِنَائِنُ: جَمْعُ كِنَانَةٍ، وَهُوَ: وَعَاءُ السَّهْمِ. يَنْظُرُ: بِمَجْمَعِ الْأَمْثَالِ، 101/2، وَلِسَانُ الْعَرَبِ، 360/13.

2 نسبه ابنُ الملقن في العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، ص 158، إِلَى قَاضِي الْقَضَاةِ بِحَلَبِ:
يُوسُفُ بْنُ رَافِعِ بْنِ دِينَ بْنِ شَدَادِ الْحَلَبِيِّ.

3 الْقَطَا: نَوْعٌ مِنَ الْيَمَامِ، وَضُرِبَ بِهَا الْمَثَلُ، لِأَنَّ الْقَطَا تَتْرَكَ مَفْحَصَهَا - أَي: عَشَّهَا - لَجَلْبِ الْمَاءِ لِفِرَاحِهَا
تَسِيرٌ مَسَافَةً بَعِيدَةً وَتَرْجِعُ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ إِلَى مَفْحَصِهَا دُونَ أَنْ تَحْطِئَهُ، فَإِذَا وَصَلَتْ صَاحَتِ: قَطَا
قَطَا. وَضُرِبَ بِهَا الْمَثَلُ أَيْضًا فِي الصَّدْقِ، وَلِذَلِكَ قَالَتِ الْعَرَبُ: أَصْدَقُ مِنْ قَطَا، وَقَالَ عِلْمَاؤُنَا: وَهَذَا
شَبَّهَ النَّبِيَّ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ بِمَفْحَصِ الْقَطَاةِ، إِشَارَةً إِلَى الْإِخْلَاصِ فِي النَّفَقَةِ عَلَى الْمَسَاجِدِ. يَنْظُرُ: الْأَمْثَالُ
لَأَبِي عُبَيْدٍ، ص 363، وَالْحَيَوَانَ، 144/1، وَمَجْمَعُ الْأَمْثَالِ، 409/2، وَجَهْرَةُ الْأَمْثَالِ، 167/1،
567، 584، 353/2، وَعَمْدَةُ الْقَارِي، 213/4، وَفِيضُ الْقَدِيرِ، 96/6.

أو يسكتُ سادِلاً على هَنَاتِهِ¹ الغِطاء؟ حتى أَوْمَضَ² له بارقٌ من الشيخ (أبي يعلى الزواوي³)، فاستضاء به⁴، وطلع علينا بمقاله الأخير تحت عنوان: «عادة الحجاب⁵»، وهذا العنوان فيه تراجعٌ كبيرٌ بالنسبة ل: «حجاب المرأة عادة لا دين⁶».

وإنِّي لأعجبُ من الشيخ (أبي يعلى)، الذي يحاولُ تطبيقَ اصطلاحاتِ علماء الكلام وغيرهم على أقوال (سي حلوش)، ويقول: «العبرة بالمقاصد لا بالألفاظ⁶»، فما جعلتِ الألفاظُ يا شابَّ الشيوخ، إلا قوالبَ للمعاني، ولولا

1 يقصد به الأشياء المكروهة، وخصال الشر المذمومة. ينظر: تفسير الغريب، ص 171، ومشارك الأنوار، 271/2.

2 معناه: إشارة خفية، من: أَوْمَضَ البرقُ وَوَمَضَ، وَأَوْمَضَتِ المرأةُ: سَارَقَتِ النَّظَرَ. وَيُقَالُ: أَوْمَضْتَهُ فُلَانَةٌ بَعَيْنَهَا: إِذَا بَرَقَتْ. لسان العرب، 7/252.

3 هو الشيخ: السعيد أبو يعلى الزواوي، المولود سنة: 1295هـ/1866م بقرية: (تاعروست) أغيل زكري، ناحية عزازقة بالقبائل الكبرى، تعلم ببلده، واستزاد في رحلته للشام مع أسرته، التقى بجملة من علماء عصره كالشيخ محمد الخضر حسين، ومحمد رشيد رضا، ومحبي الدين الخطيب، وشكيب أرسلان، والشيخ طاهر الجزائري، استوطن مصر في أوائل الحرب العالمية الأولى، فزاد اطلاعا وعلما، رجع للجزائر في حدود 1920م، درس وعلم، وكتب في كل جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كان عالما كبيرا، وفقهيا، له خبرة بالتاريخ والاجتماع، من كتبه: تاريخ زواوة، وفصول في الإصلاح وغيرهما. مات في 8 رمضان، سنة: 1371 هـ/4 جانفي 1952م، وله تسعون سنة. ينظر: من أعلام الإصلاح في الجزائر، 1/65-70.

4 سُمي الشيخ أبو يعلى مقاله ب: «حول حجاب المرأة»، ومال جهة الشيخ حلوش، ورحم الله الجميع. ينظر: البصائر، عدد: 59، المجموعة الأولى، 2/73، ومن أعلام الإصلاح في الجزائر، 1/249.

5 البصائر، عدد: 60، المجموعة الأولى، 2/80-81.

6 قاعدة فقهية اجتهادية مستنبطة، تدرج تحت القاعدة الكلية الكبرى: الأمور بمقاصدها، ومستند القاعدة حديث: إنما الأعمال بالنيات، ومعناها: اعتبار المعنى والمقصود وترجيحها على اللفظ =

الألفاظُ ما توصلنا لفهم المعاني، حسبنا الحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر.
تأمل ملياً يا شاب الشيوخ¹!! إن لكل كلمة مع صاحبها مقاماً، وإن لكل
مقام مقالاً، مالي أراك تؤاخذ (شيخ مستغانم) بظاهر كلامه، و(فتى
مستغانم)² تصرف كلامه عن ظاهره، وتتأول له التأويل البعيدة؟!
قرأنا ما كتبه (سي حلوش) تحت عنوانه الجديد، فاستتجنا منه تراجعاً،
ولولا أن العزة أخذته بالإثم، لعدل عن التطويل في ذلك المقال، واكتفى
بكلمة واحدة، وهي: إن حجاب المرأة دين، لتتفق وإيائه، لكنه أراد أن يلبس
بالتطويل على ضعف العقول، الذين يغرّون بظواهر الأشياء دون جواهرها،
وكمومها دون كيوفها.

تفضل في مقاله الأخير فوصف مقالنا في الرد عليه، وتفنيده مزاعمة: ب:
«عقارب وأفاعي انبعثت من الوادي إليه³»، وأنا أصدق في هذا التشبيه البليغ،
فإن جمل مقالنا عقارب، والسطور التي انتظمت منها أفاعي، لكنها ليست

= والصورة، وهي قاعدة مختلف في اعتبارها، لذلك يذكرها العلماء بصيغة مقرونة بالاستفهام. ينظر:
تطبيقات قواعد الفقه عند المالكية من خلال كتاب البهجة في شرح التحفة، ص 142، وموسوعة
القواعد والضوابط الفقهية لعلي الندوي، 37/1-48، 518-532.

1 لقيه بهذا اللقب الشيخ الطيب العقبي، فقال له: شاب الشيوخ، وشيخ الشباب. ينظر: جريدة البصائر،
المجموعة الأولى، عدد: 7، 56/1.

2 يقصد به الشيخ مصطفى بن حلوش.

3 البصائر، عدد: 60، المجموعة الأولى، 80/2.

بأفاعي (عيساوي) كما توهم، بل هي أفاعي الحق، فَحَّتْ¹ من أعماق الصحراء، فَأَقْضَ مَضْجِعُ المعتدي، لَفْجِيحِهَا، وأصبح المعتدي مُسَهَبًا² - وإن تحصَّن بالتلال والجبال -، فاضطرته إلى الاعتراف بالحجاب بعد إنكاره! عقاربُ دبَّت وأفاعي فَحَّتْ للذبِّ عن الدين، فإني سأريك منها يا عزيزي (حلوش)!

لعمرك³ لقد تَرَكْتِكَ في اضطراب، أَعِدْ نَظْرًا فيما كتبتَه، تجد نفسك تارة شارحا وتارة مُحَشِّيًا على كلامك، - وإن كنتَ من الذين لم يارسوا الشُّروح والخواشي إلا لِمَا - عهدي يا صديقي حلوشُ بالكتَّابِ المجدِّدين مثلك يتحاشون من كلمة: «أعني، أعني» فيما يكتبونه، لأنها عصا خَطيْبٍ، تُستعمل للاستعانة على تقرير القواعد، وأنت مع الأسف لم تعتنِ بالقواعد، ولو كنت معتنياً بها لما قلت: «حجابُ المرأةِ عادةٌ لا دين»، لأن النِّكْرَةَ (يا حُويَةَ حلوش) إذا أُضيفتُ تفيدُ العمومَ، فمَالِكَ ذهلتَ عن القواعد، واستحضرت: «أعني»:

1 فحیح الأفعى: صوتها من فيها. والكشيس: صوتها من جلدها، وقد فَحَّتِ الأفعى تُفْحُ وتُفْحُ فحیحاً. لسان العرب، 2/540.

2 رَجُلٌ مُسَهَّبٌ: ذَاهِبُ الْعَقْلِ مِنْ لَدَغِ حَيَّةٍ أَوْ عَقْرَبٍ؛ تَقُولُ مِنْهُ أُسْهَبَ، عَلَى مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ؛ وَقِيلَ هُوَ الَّذِي يَهْذِي مِنْ خَرَفٍ. وَالتَّسْهِيْبُ: ذَهَابُ الْعَقْلِ. لسان العرب، 1/476.

3 اختلف العلماء في هذه الكلمة على ثلاثة أقوال: الأول: الجواز، وعليه أكثر أهل العلم كأحمد، وكان الإمام أحمد يستعملها، لأنها كلمة جرت على اللسان وليست بيمين، واستدلوا بنصوص نبوية، مع استعمال الصحابة لها، والقول الثاني: التحريم، لأنه حلف بغير الله نقل عن القاسم بن مخيمرة، والقول الثالث: الكراهة، نقل عن إبراهيم النخعي، وتركها أولى إلا إذا قصد بها اليمين فيتأكد الترك، والله أعلم. ينظر: مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، 9/3893، ومصنف ابن أبي شيبة، 3/79-80، وأحكام القرآن لابن العربي، 3/105-106، وأحكام القرآن للقرطبي، 12/230، ومصنف عبد الرزاق، 8/470.

التي تستعمل وسيلةً لتفسير القواعد؟

قلت يا هذا: «أن مسألة الحجاب لم تعدْ خافيةً حتى على المبتدئين في العلم...¹» إلخ، فما أنت من فُحُولِ الْمُحَقِّقِينَ، وَخَفِيَتْ عَنْكَ؟
قلت يا سبي (حَلُوشْ): أنه: «ورد في ردِّنا عليك كلماتٌ كنتَ تسمعُها من الطُّرُقِيِّينَ، منها: «فليأمر النساء اللاتي له سلطةٌ عليهنَّ...²» إلخ.

اضحكوا معي أيها القراءُ كثيرا! فإني والله أَخْطُ هذا السَّطْرَ، وأنا أضحك من سي (حَلُوشْ) الذي يريد خروجَ المسلماتِ سافراتٍ! ولما قلنا له: ابتدئْ بنفسك، وأخرجِ النساءَ اللاتي لك سلطةٌ عليهن، جَزِعَ من قولنا هذا، وعدَّه عبارةً جارحةً له، إنه لمخادعٌ مُمَازِقٌ³، لَمَّا قلنا له: ابتدئْ بنفسك جَزِعَ وهَلَعَ، وقال: «ما كان يظنُّ صُدُورَ هذا مِن عالمِ عامِلٍ في حقلِ الإصلاح⁴»، يريد سي (حَلُوشْ) أيها القراءُ! أن يتخذَ كلمةَ الطُّرُقِيِّينَ وَالْمُصْلِحِينَ له تُرْسًا⁵ وَمَجَنًّا⁶،

1 البصائر، عدد: 60، المجموعة الأولى، 80/2.

2 البصائر، عدد: 60، المجموعة الأولى، 80/2.

3 مُمَازِقٌ أَي: غيرُ مُخْلِصٍ. ينظر: تاج العروس، 381/26.

4 البصائر، عدد: 60، المجموعة الأولى، 80/2.

5 التُّرْسُ مِنَ السَّلَاحِ: المُتَوَقَّى بِهَا... وَرَجُلٌ تَرَّسَ: صَاحِبُ تُرْسٍ. وَالتُّرْسُ: التَّسْتُرُ بِالتُّرْسِ، وَكَذَلِكَ التُّرَيْسُ. وَتَرَّسَ بِالتُّرْسِ: تَوَقَّى، وَحَكَى سَبِيؤُهُ اتَّرَسَ... وَالتُّرْسُ: خَشْبَةٌ تُوَضَعُ خَلْفَ البَابِ يُضَيَّبُ بِهَا السَّرِيرُ. لسان العرب، 32/6.

6 المَجَنُّ وَالتُّرْسُ: مَا أُخُوذُ مِنَ الجِنَّةِ وَهِيَ مَا اسْتَرَى بِهِ فِي الحُرْبِ مِنَ العَدُوِّ. تفسير غريب ما في الصحيحين، 273/1.

وما دَرَى المغرورُ أنَّ الإصلاحَ والمُصلِحينَ يروُّونَ إلى الله من الطَّفَرَات¹ والتزغَات²، لأنَّ الإصلاحَ الذي تُبثُّه (جمعيَّةُ العلماءِ المسلمينَ)، ونُبُّه نحنُ المنخرطينَ فيها، هو الإصلاحُ الإسلاميُّ، لا الإصلاحُ الماديُّ الاجتماعيُّ المارق عن دائرةِ الدِّينِ، وإنَّا - وربُّ الكعبة - بأقلامنا التي أرهقناها لمحاربةِ الطُّرُقِيِّينَ من أجلِ ابتداعهم في الدِّينِ، نحاربُ المُصلِحينَ المتطرِّفينَ الذينَ يتعارضُ إصلاحُهُم مع الإصلاحِ الإسلاميِّ، بل نُؤثِّرُ الطُّرُقِيِّينَ عليهم، لأنَّ دِينًا خَرَأَفِيًّا خَيْرٌ مِن لَادِين!

لم يقف (حلُّوش) عند طَوْرِهِ وحده، بعدما شرح كلامه بما لا يتفق مع ألفاظه، حاول أن يشرح كلامنا في الردِّ عليه بما يبغِي، فادَّعى أننا جعلنا الحجابَ عادةً في ملاحظتنا عليه في (البصائر) أوَّلَ مرَّة، وفي ردِّنا عليه جعلناه دينًا، وهو مسكينٌ لم يقرأ القواعدَ النحويَّةَ، ولو قرأها لفهم الفرقَ الواضحَ بين قولنا أوَّلًا: «عادة الحجاب الشريفة»، وقولنا ثانيًا: «حجاب المرأة دين» وبين قوله: «حجاب المرأة عادة لا دين»، فنحن لم نُنكِرْ في كِلَا القولين أنَّ الحجابَ مشروعٌ في الدِّينِ، وهو أنكر مشروعيته في قوله: «حجاب المرأة عادة لا دين»، لأنَّ النُّكْرَةَ - كما قدَّمنا آنفاً - إذا أُضيفت تفيده العموم.

لك درس في النحو يا سيِّ (حلُّوش!) أتريدُ حملَ كلامنا على ما تريدهُ من

1 الطَّفَرَةُ: الوَثْبُ فِي ارْتِفَاعٍ، كَمَا يَطْفُرُ الْإِنْسَانُ حَائِطًا، أَي يَبِيه. تاج العروس، 431/12.
2 النَّزْغُ: أَنْ تَنْزَعَ بَيْنَ قَوْمٍ فَتَحْمِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِفَسَادٍ بَيْنَهُمْ. وَنَزَعَ بَيْنَهُمْ يَنْزَعُ وَيَنْزَعُ نَزْعًا: أَعْرَى وَأَفْسَدَ وَحَمَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ. وَالنَّزْعُ: الْكَلَامُ الَّذِي يُعْرِي بَيْنَ النَّاسِ. لسان العرب، 454/8.

غير بيّنة ولا هدى؟

كَذَّبْتَكَ عَيْنَكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلَامِ مِنَ الرَّبَابِ خَيْالاً¹

قلت يا هذا: «أني وقفتُ من محرّر البصائر موقفَ المعلّم الناصح!» فلتعلم أني بذلك فخورٌ حيث شهدت لي بأني لا أبالي في قَوْلَةِ الحقِّ كبيرًا ولا صغيرًا، وإن كنت تريدُ بذلك إغاضةَ محرّر البصائر، لكن أنا على يقين من أنه لا يعبأُ بهذه الترهات.

حاولت يا سي (حلّوش) أن تشرح كلامنا كما تريد فقلت: «ومن العجب يا بوكوشة أن تكون ممن مارسوا تعلّم القواعد سنين، ثم تقول أن قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ فُلٌ لِّأَزْوَاجِكْ﴾ [الأحزاب: 59] الآية، نصٌّ في الحجاب المعروف بيننا²» إلخ، فمتى اعترفت يا سي (حلّوش) قبل مقالِك هذا بشيء في الإسلام يقال له: حجابٌ، حتى أصبح الحجابُ منه المتعارف عندك، وغير المتعارف عندك؟ اتق الله وكن ذكورًا، فإن قولتكَ الأئمة: «حجاب المرأة عادة لا دين»: لا زالت تَرنُّ في الآذان، وأنت ما اعترفت بالحجاب إلا بعد ما رددنا عليك، وأصبحت تشرحُ كلامنا، وتقول: «هذا لم أنكره، وهذا كذا...» إلخ، فلماذا لم تقل: الحجاب المتعارف عندك في مقالِك الأوّل، حتى يعلم القراء أنك تنوِّع الحجابَ إلى أنواعٍ؟

دَعِ المشاغبةَ جانبا يا سي (حلّوش)، فإن قُرأ كلامنا لا يصادقونك على

1 البيت للأخطل. ينظر: ديوانه، ص 245.

2 البصائر، عدد: 60، المجموعة الأولى، 81/2.

تفسيره، بقلب الحقائق، فنحن استشهدنا بتلك الآية على الحجاب من حيث هو، بدليل أن تلك الآية أدرجناها تحت نوعٍ من أنواع الحجاب التي نقلناها عن الأستاذ (الغلاييني) وفسرناها.

فما هذا التَّحَكُّمُ يا سي (حلّوش)؟! أتظن أن قُرَاءَ البصائرِ كلَّهم عَوَامٌ؟! أم ماذا؟!!

أما كوننا من الذين مارسوا تعلم القواعدِ سنين، فهذا يسرُّنا جدا، فإننا تعلمناها ولا زلنا نعلِّمُها الناسَ، وعسى أن تستفيدَ منها أنت أيضا بقراءةِ تك هذا المقال، كما استفدتَ وتعلمتَ أنواعَ الحجابِ من مقالنا السَّابِقِ، وإن تعجب فلا عجب، ولو ذاتُ سِوَارٍ لَطَمْتَنِي¹.

يتحقَّقُ الأدبَاءُ والعُلَمَاءُ من القُرَّاءِ بأن (حَلُّوشًا) كان ينكُرُ كلَّ ما يسمِّيه المسلمون حجابا، ومسألةُ سترِ الوجه والكفَّينِ جَرْنَا إليها الحديث معه، والحديث شجون²، لأنها مسألة ذات أحوال، كما بيَّنا في مقالنا الأوَّل، لكنَّ

1 مَثَلٌ يضرب للكريم يظلمه دنيء فلا يقدر على احتمال ظلمه، والمعنى: لو ظلمني مَنْ كان كفؤا لي لهان عليّ، ولكن ظلمني مَنْ هو دوني، وقيل: أراد: لو لَطَمْتَنِي حُرَّةً، فجعل السوار علامة للحرية، لأن العرب قلما تُلبَسُ الإماءُ السُّوَارَ، فهو يقول: لو كانت اللاطمة حرة لكان أخف عليّ. مجمع الأمثال، 174/2.

2 الشُّجُونُ: الرواضع التي تأخذ من النهر العظيم، وشجن الإنسان: ما اهتم به وعقد طويته عليه، ويقال: للناس أشجان ولي شجن. وهذه العبارة قالها الأحنف بن قيس، فسارت مثلا، شبّه تلك الرّواضع من نهر ماءٍ، بعوارض الحديث إذا افتن. ومعنى المثل: إنَّ الحديث ذو فنونٍ وأغراضٍ وطرقٍ يدخل بعضها في بعض، ويتشعب بعضها من بعض، كالطرق المشتبكة المتقاطعة أو الأغصان والعروق. يضرب في الحديث سيذكر به حديث غيره، ومن ثم يضربه القُصَّاصُ والأئمّةُ عند =

المغرورَ أراد أن يطبّق الأقوالَ الواردةَ فيها على كل ما يُسمّى في الإسلام حجاباً، ولو كان (حَلُوْشٌ) مُلِمّاً بفنِّ المنطق لعرفَ أنها لا تُطبَّق بحالٍ، لأنّ المناطقة قالوا:

ولا يفيد القطع بالدليل قياس الاستقراء والتمثيل¹

وقياسُ الاستقراء - كما قال حُجَّةُ الإسلام الغزالي² - هو عبارة عن: «تصفّح أمور جزئية ليحكم بحكمها، على أمر يشمل تلك الجزئيات³». اهـ.
ف(حَلُوْشٌ) المسكينُ طالعٌ في كتابِ (نداء إلى الجنس اللطيف) للشيخ رشيد رضا أقوالاً تتعلّق بستر الوجه والكفين، أرادَ أن يطبّقها على الحجابِ بأنواعه، ولمّا أفحمناه وأجمنناه، كبرَ عليه الرجوع إلى الحقِّ، فقال: «أنه يعني ستر الوجه والكفين⁴»، ولو وقف عند هذا الحدِّ لتركناه، لكنه تطاول وادّعى ما ليس فيه من طولٍ باعٍ وسعةٍ اطلاعٍ، فقال: - ولم يعرق جبينه وكيف يعرق وهو القائل: - «إنّ التّساء في عهدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهدِ خلفائه

=استطرد المسائل والخروج من غرض إلى آخر. ينظر: البصائر والذخائر، 87/4، 11/8، وزهر الأكم، 102/2-103.

1 البيت من السلم للأخضري. ينظر: إيضاح المبهم للدمنهوري، ص 17.

2 هو: حجة الاسلام، وأعجوبة الزمان - كما قال الذهبي -، زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، صاحب التصانيف، والذكاء المفرط، صاحب كتاب الإحياء في علوم الدين، لازم إمام الحرمين وتفقه على يديه، مات سنة 505 هـ. سير أعلام النبلاء، 346-322/19.

3 المستصفي، 103/1.

4 البصائر، عدد: 60، المجموعة الأولى، 81/2.

الراشدين ما كنَّ يعرفن هذا الحجاب، أعني به: تغطية الوجه¹... إلخ. مسكين! مسكين! (حلوش).

متى أصبح مطلعاً على كتب الأحاديث والسِّيَر حتى يحكم هذا الحكم؟ وهل إذا طالع (على هامش السيرة) للدكتور (طه حسين) يحكم بأن ستر الوجه لم يكن معروفاً في عهد الخلفاء الراشدين.

تربت يمينك يا سي (حلوش)، قد أثبتنا لك فيما نقلناه عن المفسرين في مقالنا الأول، بأن تغطية وجه المرأة من الدين، ولو كنت ممن ساعدتهم الظروف بتعلم - ولو قليلاً من القواعد العلمية - لعرفت أن الميثب مقدّم على النافي².

أما الآن - وقد ظهر الحق وضح الجبين - فإني ألفتُ نظرَ قراء البصائر لما نشره رئيس جمعية العلماء المسلمين الأستاذ (عبد الحميد بن باديس) بمجلة الشهاب³ في نفس هذا الشهر تحت عنوان: «ستر وجه المرأة من الدين»⁴،

1 البصائر، عدد: 60، المجموعة الأولى، 80/2.

2 قاعدة أصولية فقهية، قال القرافي: «والمثبُّ مُقدَّمٌ عَلَى النَّافِي كَتَعَارُضِ النَّبَاتِ، وَذَلِكَ كَاخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِي مَشْرُوعِيَّةِ الْفَاتِحَةِ فِي صَلَاةِ الْجَنَازَةِ فَهَلْ لَكَ يَقُولُ لَيْسَتْ بِمَشْرُوعَةٍ، وَالشَّافِعِيُّ يَقُولُ هِيَ مَشْرُوعَةٌ أَوْ وَاجِبَةٌ، فَالْوَرَعُ: الْفِعْلُ، لِتَيَقُّنِ الْخُلُوصِ مِنْ إِثْمِ تَرْكِ الْوَاجِبِ عَلَى مَذْهَبِهِ». ينظر الفروق، 1344/4.

3 نشر المقال يوم: 1 محرم 1356 هـ/14 مارس 1937 م. ينظر: الشهاب، ج1، سنة 13، مجلد 13، ص 5-8.

4 يقول الإمام ابن باديس فاصلاً الكلام في هذه المسألة: «ستر وجه المرأة مشروع راجح، وكشفه عند أمن الفتنة جائز، وعند تحققها واجب، وأمن الفتنة يختلف باختلاف الأعصار والأمصار والأشخاص والأحوال، فيختلف الحكم باختلاف ذلك ويُطبَّقُ فِي كُلِّ بِحْسَبِهِ».

ويقول: «تفرقة وتحذير: هنا سفور إسلامي وهو كشف المرأة وجهها - دون شعرها وعنقها - عند أمن الفتنة، مع عدم إظهار الزينة، غير الوجه والكفين، وعدم إثارة الفتنة بروائح الطيب وخشخشة =

لِيُظْهِرَ لَهُمْ جَلِيًّا أَنْ (حَلُّوْشًا) مِنْ الْخَرَاصِينَ الْأَفَّاكِينَ، الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ.

ثم لم يستحِ (حلوش) ويتساءل بكل وقاحة ويقول: «فأين يا بوكوشة حجابك المعلوم من الدين؟...» إلخ. بعد ما بيننا له الحجاب بأنواعه وأحكامه، وأدلته الإجمالية والتفصيلية، والقارئ المنصف إذا وضع أمامه أعداد البصائر التي أُثِرَت فيها مسألة الحجاب، ويقرأ ما كتبناه وما كتبه (حَلُّوْش) بإمعان ينجلي له أن (حَلُّوْشًا) كَالسَّلِيمِ الْمُسَهَّدِ¹، أو الذي به مسٌّ من الجِنِّ، فهو يظن أن العلم ألفاظٌ تَزَوَّقُ وَخُطِبُ تَنْمَقُ، وصوت يُرَقَّقُ، وما درى أنه قواعدٌ تُدَقَّقُ ومسائلٌ تُحَقَّقُ، يقول في مقاله الأخير: «إن العلماء لم يختلفوا في المبالغة في الحجاب، بل اختلفوا في الحجاب نفسه²»، إلخ، ونحن لو كان سي (حَلُّوْش) من العلماء، لقلنا له أنك اعترفت بأنواع الحجاب في نفس هذا المقال، فكيف تُقِرُّه وتُنكِرُّه في مقالٍ واحدٍ؟ لأن كلمة الحجاب يدخل تحتها كل ما يطلق عليه اسم الحجاب في الدين، لكنه لا يتقيّد بالقواعد العلمية، ولو

=الحلي ورنين الخللخال.

وهناك سفور إفرنجي فيه كشف الشعر والعنق والأطراف مع التبرج بالزينة وما إليها، فعلينا- معشر المسلمين- أن نوجه قوتنا كلها إلى منع السفور الإفرنجي الذي قد طغى حتى على نساء أمراء الشرق المسلمين ووزرائه، وأن نحذر كل ما يؤدي إليه، وأن نحافظ على الوضعية الإسلامية العفيفة الطاهرة بسفورها- إذا كان سفوراً على ما فصلنا- في دائرة محدودة ليس فيها إثارة ولا إغراء». ينظر:

الشهاب، ج 1، سنة 13، مجلد 13، ص 7، 8.

1 اللدِّيغُ الْمُسَهَّدُ: الَّذِي لَا يَنَامُ وَجَعًا. ينظر المخصص، 314/2.

2 البصائر، عدد: 60، المجموعة الأولى، 81/2.

ظنَّاه يَخضع للقواعد العلمية وتُقنِّعُهُ الأدلة الأصولية لقلنا له: إن من ألفاظ العموم اسم الجنس إذا عُرِّفَ بالألف واللام عند الأصوليين كقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَخُسْرٍ﴾ [العصر: 1].¹

وعلماء البلاغة يقولون: «وبأل للإشارة إلى الحقيقة نحو: الرجل خير من المرأة»².

يقول النحويون: إن ذا اللام قد يستعمل بلا إشارة إلى معين³ كقول الشاعر:

ولقد أمر على اللئيم يسبني ثم انثيت فقلت لا يعنيني⁴
أَفَهَمْتَ يَا سَيِّ (حَلُوش) كَيْفَ تُطَبِّقُ الْقَوَاعِدُ الَّتِي هَمَّتْكَ عَنْهَا مِنَ الْقَوَاعِدِ؟
«للمقال ذيل»

1 ينظر الإحكام في أصول الإحكام للآمدي، 214/1.

2 ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، 23/2، والطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، 13/2، ونهاية الأرب في فنون الأدب، 62/7، ومعجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير نجيب اللبدي، ص 56.

3 ينظر معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ص 56.

4 البيت نسبه سيبويه لرجل من بني سُلُولٍ مُوَلَّدٍ، كما في الكتاب، 24/3، وهو دون نسبة في التذكرة الحمدونية، 123/2، ولسان العرب، 79/12، 292/15.

(6) وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

بوادي سوف ونواحيها

بقلم الشيخ حمزة العضو الإداري لجمعية العلماء¹

لقد كان من بين القرارات التي قررتها جمعية العلماء هذه السنة، إيفاد وفدٍ تحت رئاسة رئيسها الجليل إلى الصحراء، وقد كان من بين بلدان الصحراء التي أممها² هذا الوفد: بلد وادي سوف ونواحيه، وما كادت الصحافة المحلية تنشر نبأ إيفاد هذا الوفد حتى هبَّ دعاة الفتنة والشقاق، وحاولوا تصوير الجمعية وأتباعها لرئيس الملحقة: السيد القبطان بصورة شوهاة³، وقاموا بأدوار في الجوسسة الدينية المدعّمة بالاختلاق والافتراء التي يعجز عنها شياطين الإنس والجن، إلا من كان من أصحاب اللّحى الطّوال التي أضرت بالمسلمين في دينهم ودنياهم قديماً وحديثاً، وليس ذلك الضرر من أجل طولها فإنه من السنة، ولكن من الاقتصار على هاته السنة، واتخاذها طريقاً إلى التدجيل⁴.

في وادي سوف لحيان طويلتان تحالفتا على سبب جمعية العلماء، وإذاية أتباعها، فطوّراً بالوشاية الكاذبة للحكومة، وطوّراً بتضليل الرأي العام، وهذا

1 البصائر، عدد 93، ليوم 28 شوال 1356 هـ الموافق: 31 ديسامبر 1937 م، المجموعة الأولى، 31/3.

2 الأم، بالفتح: القصد. أمة يؤمّه أماً إذا قصده. لسان العرب، 22/12.

3 شوهاة، أي: قبيحة. لسان العرب، 508/13.

4 دجّل: إذا كبس وموّه. الزاهر لابن الأنباري، 464/1.

الطَّورُ تَبَرَّزَتْ فِيهِ اللَّحِيَّةُ الَّتِي يَحْمِلُهَا شَيْخُ الطَّرِيقَةِ الَّذِي يَرِيدُ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا
وَحَاكِمًا، وَوَلِيَا صَالِحًا وَقَائِدَ عَصَابَةِ إِجْرَامٍ فِي آنٍ وَاحِدٍ!!

مساء الثلاثاء اجتمعتُ برئيسِ الوفدِ وأعضائه بِبِسْكَرَةِ النَّخِيلِ، فَأَلْزَمُونِي -
بصفتي من أعضاء المجلس الإداري للجمعية - بمصاحبتهم في هذه الجولة،
فامتثلتُ رغم شواغلي، وسرت معهم صباح الأربعاء على سيارَة خاصة،
فسارت بنا وانسابت في الوَعَسَاءِ¹ انسياباً أُفْعُوَانُ² الحق، الذي يَفِرُّ الباطلُ من
فَحِيحِهِ³. وأصبح لنا الشيخُ المباركُ المياليُّ شاعرًا مُبِدِعًا بعدما كُنَّا نَظْنُهُ ناثِرًا
فحسب، فعندما وصلنا رمالَ وادي سوف، والسيارة تميل بنا يَمَنَةً
ويسرَّةً كسفينةٍ في الأمواج المتلاطمة، قال الشيخ حفظه الله:

رَمَالُ الوَادِ يَا خَيْرَ الرَّمَالِ
وَيَا حِصْنَ العَرُوبِيَّةِ فِي النَّزَالِ
وَقَدْ ذَكَرَنِي هَذَا البَيْتُ قَصِيدَةً لِي كُنْتُ قَلْتُهَا سَنَةَ 1932م، طالعها:
سِقَاكِ العَيْثُ يَا وَادِي الرَّمَالِ
وَصَانَتِكَ الأَسِنَّةُ والعَوَالِي

1 الوعساء: السَّهْلُ اللَّيِّنُ مِنَ الرَّمْلِ، وَقِيلَ: هِيَ الأَرْضُ اللَّيِّنَةُ ذَاتُ الرَّمْلِ، وَقِيلَ: هِيَ الرَّمْلُ تَغِيْبُ فِيهِ
الأرجل. لسان العرب، 6/256.

2 أُفْعُوَانُ: ذَكَرَ الأَفْعَى. ينظر: المصباح المنير، ص 247.

3 مر معنا قِيلَ أَنْ فحیح الأفعى: صوتها من فيها. والكشيس: صوتها من جلدها، وقد فَحَّتِ الأفعى
تَفْحُحٌ وَتَفْحُحٌ فَحِيحًا. لسان العرب، 2/540.

ومنها:

بني الوادي المكرم لا عدتم
شبابا عانق الشم العوالي
شبابا باتباع الدين مغري
وللبدع الشنيعة هو قالي
وكم قد عاكسته شيوخ سوء
وكم قد هدده على التوالي
وكم قد أوعده بكل شر
وهل نحت الذباب ذرى الجبال؟

وعندما أشرَفنا على بلدة (قماز)، وجدنا سيارتين من (الوادي) في انتظارنا، فنزل من فيها، واستوقفوا سيارتنا فأشَرنا على السائق فأوقفها، ونزلنا لمصافحتهم، والتسليم عليهم، وكان من بين أولئك الإخوان الذين نسيتُ أسماءهم - وما أنسانيها إلا الشيطان -
الشيخ الأخضر شبرو¹،

1 هو لخضر بن عمار شبرو، المولود سنة 1887م في حي الأعشاش بمدينة الوادي، حفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ العلوم على يد والده، تحصل على شهادة الابتدائية بالوادي سنة: 1909م، ثم على شهادة من المدرسة الفرنسية الإسلامية التي تشرف على تكوين القضاة ورجال المحاكم الإسلامية، تولى القضاء بمحكمة قمار من سنة 1930-1935م، من رجال الحركة الوطنية، توفي يوم: 6 جانفي 1962م. ينظر: أعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب، ص 42-44، ودراسات في تاريخ المقاومة الثقافية بالجزائر للحفاظ على الهوية الوطنية، 77/1-78.

رئيسُ شعبةِ الوادي¹، والسيدُ عبدُ الكامل² أمينُ مالها، والسيدُ الأخضرُ قدورُ
نائبه³.

ثم أخذنا سَمْتَنَا⁴ فوجدنا الناسَ في تَظَاهُرٍ عَظِيمٍ خارجَ بلدةِ (قَمَارَ)، فنزلنا
هناك، وقبل أن ينزلَ الرئيسُ من السَّيَّارةِ قَدَّمَ إِلَيْهِ الشَّابُّ النَاهِضُ: السَّيِّدُ
الطَّيِّبُ بنُ السَّيِّدِ الحَاجِّ عبدِ القادرِ بنِ فرحات⁵، أحدُ أعضاءِ شعبةِ (تَكْسِبَتِ)،

1 ينظر: البصائر، المجموعة الأولى، 105/3.

2 هو عبد الكامل بن الحاج عبد الله بن أحمد بن عبد القادر النجعي، من مواليد الوادي خلال 1900م، مارس التجارة عند شبابه، وكان له ارتباط بالحركة الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، يتقن اللغتين العربية والفرنسية، عين أمين مال شعبة الوادي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دخل السجن مع الشيخ عبد العزيز الشريف، وقد حكم عليه بأربعة سنين سنة 1938م، انتقل إلى بسكرة تاجرا، حتى وفاته في 6 سبتمبر 1954م، ودفن ببسكرة. ينظر: الشيخ محمد الطاهر التليلي وجهوده في البحث الفقهي والإفتاء، ص 32، والعلامة الموسوعي الشيخ حمزة بوكوشة، ص 44.

3 هو لخضر بن أحمد بن محمد بن قدور، من مواليد: خلال 1900م، عرف بالذكاء الكبير، تحصل على شهادة الابتدائية سنة 1911م، كان مثقفا يتقن الفرنسية، وكان ممارسا للتجارة، ذهب لباريس لتجارة التمور في باريس ومرسيليا، عين نائب أمين المال في شعبة الوادي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، استوطن البقاع المقدسة سنة 1954م، ورجع للوادي سنة 1963م، يعرف بيته ببيت التليفون بأولاد أحمد بالوادي، لأنه أدخله سنة 1930م، وفي ذلك العام كان عنده الكهرباء أيضا، توفي في: 1986/8/5م. مكالمة هاتفية مع ابن ابن أخيه المؤرخ: عبد الحميد بن كيلاني قدور، مساء يوم الجمعة: 26 ربيع الثاني 1445هـ / 2023/11/10م.

4 السَّمْتُ: الطريق. ينظر: لسان العرب، 47/2.

5 هو أبو زكريا الطيب فرحات حميدة بن الحاج عبد القادر، من مواليد الوادي سنة: 1919م، من خريجي جامع الزيتونة، وعين نائبا لرئيس شعبة تكسبت لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وعين شارك في ثورة التحرير الجزائرية، وبعد الاستقلال عين واليا على كل من ولايتي سطيف والمدية، ثم سفيرا للجزائر بالرباط سنة 1964م. ينظر: البصائر، المجموعة الأولى، 115/3، والعلامة الموسوعي الشيخ حمزة بوكوشة، ص 45.

وأحدُ المزاوِلين للتعليم بجامع الزيتونة المعمور، باقَّةً من الأزهارِ قَدَّمَهَا
بأبياتٍ منها قوله:

يَا بَاقَةَ أَدِّي السَّلَامَ اللَّائِقَا
وإلى الرَّئِيسِ صِلِي احْتِرَامًا فَائِقَا
مِنْ نَشْءِ (سُوفَ) الْمُبْرَهِنِ أَنَّهُ

* * * *

وبعدما نزلنا من السيارة للتسليم على أولئك المُقْتَبِلِينَ¹، رَغِبْتُ مِنَّا شَعْبَةً
(قَهَّارٌ) أن نتناول القهوةَ هناك، فلبَّيْنَا الدَّعْوَةَ، ولما أخذنا مجلسنا في المَحَلِّ
الذي هيأتهُ الشَّعْبَةُ، - وهو محل فسيح جدا - قامَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الطَّاهِرِ بْنِ
بَلْقَاسِمٍ² أحدَ المُتَخَرِّجِينَ من جامع الزيتونة، وألقى خطابَ ترحيبٍ وقصيدةً

1 أي: المستقبلين. يقال: ورجل مقبل الشباب، أي: مستقبل الشباب. ينظر: لسان العرب، 534/11.
2 هو العلامة الموسوعي: محمد الطاهر بن بلقاسم، التليلي السوفي القماري، الجزائري، حفظ القرآن
الكريم في صغره، وتلقى مبادئ العلوم، أكمل دراسته بجامع الزيتونة، وتعلم على شيوخ منهم:
الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، عمل فلاحا وتاجرا، درس بمدارس جمعية العلماء المسلمين
الجزائريين، واشتغل بالخطابة والتدريس، وضيق عليه السلطات الاستعمارية، وسجن بسبب بثه
الوعي لشباب الأمة، له مصنفات عديدة منها: حجر المخلاة في مجالس المحاجة، والمدخل إلى غريب
القرآن. مات يوم الثلاثاء 16 رمضان 1424هـ/11 نوفمبر 2003م، ودفن بقمار. ينظر: هذه حياتي،
محمد الطاهر تليلي، ص 10-41، 105-109، وخارج السرب، ص 155-163، 258-271،
وأعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب، ص 83-85، ودراسات في تاريخ المقاومة الثقافية
بالجزائر للحفاظ على الهوية الوطنية، 66-67/1، والشيخ محمد الطاهر التليلي وجهوده في البحث
الفقهي والإفتاء، ص 15-52.

طالعها:

هُبِّي يَا قَرْيَةَ الرَّمَالِ وَهَبِي

واجباتِ اللِّقَاءِ إِلَى خَيْرٍ وَفِدٍ

ومنها:

مرحبا بالذين هَبُّوا حِقِّ

أَهْلَهُ ضَيْعُوهُ عَنْ غَيْرِ عَمَدٍ

نَفَخُوا فِي الْبِلَادِ رُوحًا فَأُمْسَت

أُمَّةً تَعْرِفُ الْحُقُوقَ وَتَفْدِي

ثم سرنا تَوًّا إلى الوادي، وبينما نحن على بُعد من الوادي بسبعة أميال، إذا بسيارة تُقَلُّ أَحَدَ إِخْوَانِنَا الْمُصْلِحِينَ، استوقفنا وأبلغنا بآن «مَنْ عَيْبُوهُ تُغْنِي عَنْ التَّصْرِيحِ بِاسْمِهِ» استجاش¹ أهل (عَمِيش²)، وأتى بهم إلى الوادي في انتظارها، وذهب إلى السيد القُبْطَانِ، وأبلغه بأن قدومنا أحدث تشويشا، وأن أهل (عَمِيش) أَتَوْا لِلتَّصَادُمِ معنا، وقال للسيد القُبْطَانِ - حسبما بلغنا - ماذا ترى؟ فتنبه السيد القُبْطَانُ للمكيدة، وقال له: الذي أتى بهم هو الذي يرجعهم، والمسؤوليةُ ملقاةٌ على عاتقه، فأخذ منا العَجَبَ مأخذه، فغضب الشيخُ عبد العزيز بن الشيخ الهاشمي³ - أحدُ أعضاء المجلس الإداريِّ لجمعية

1 استجاشه: أي طلب منه جيئًا. لسان العرب، 6/278.

2 «عَمِيش» قديما هي البياضة اليوم، وهي دائرة من دوائر ولاية الوادي.

3 الشيخُ عبد العزيز بن الشيخ الهاشمي، من مواليد البياضة سنة 1889م، حفظ القرآن الكريم، =

العلماء، وأحدُ أعضاءِ وفدِها إلى الصحراء- غضبًا لا مزيدَ عليه، إلا أننا استعملنا كل وسيلة لتسكينِ غضبِهِ، ثم سرنا في طريقنا إلى الوادي، فوصلنا قرب الساعة 2:11 بعد منتصف النهار، ووجدنا الجماهيرَ تنتظرنا خارجَ البلاد، وعلامةُ السُرورِ باديةٌ عليهم، وأمَّنا مكتبَ رئيسِ الملحقةِ السيدِ القبطانِ، فوجدناه صحبةَ المترجمِ السيِّدِ (طَبُون)، فاقتبلانا¹ بلُطفٍ وظَرْفٍ²، وعرفَّهْما رئيسُ الجمعية بنا واحدا واحدا، فقال السيِّدُ القُبطانُ: «بُودِّي أن لو لم تخطُبُوا، لأن الناس متعصبون جدا، وأخشى أن يحدث ما لا تحمد عقباه»، فقال له الرئيس الشيخ عبد الحميد باديس: «أنا كفيل بأن لا يحدث إلا ما تُحمِّدُ عَقْبَاهُ، وستفرحون بالأثر الحسن الذي يتركه أثر رحلتنا في قلوب السكان»، فقال: «لا وجود للمحلات العمومية إذا أردتم الخطابة فأين تخطبون؟» فقال

=وتلقى مبادئ العلوم في بلده، وكان والده شيخ الزاوية القادرية بالوادي، تحصل على شهادة التطويح من جامع الزيتونة بتونس في جوان سنة 1923م، تولى منصب شيخ الزاوية الذي توفي بعد عودته من جامع الزيتونة بثلاثة أشهر، وتولى تدريس العلوم الشرعية بالوادي وبفروع الزاوية بسكيكدة وبسكرة والأغواط وتقرت، انتمى للحركة الإصلاحية سنة 1937م، ومهد الطريق لزيارة الشيخ عبد الحميد بن باديس للوادي في ديسمبر 1937م، سجنته السلطات الاستعمارية بسبب فكره المستنير، وبثه الوعي لشباب أمته، نفي إلى تونس سنة 1947م، شارك في الثورة التحريرية في الخارج، وصودرت بسبب ذلك جميع أملاكه وأملاك عائلته، وافته المنية بتونس في جوان 1965م. ينظر: أعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب، ص 47-49، ودراسات في تاريخ المقاومة الثقافية بالجزائر للحفاظ على الهوية الوطنية، 80-79/1.

1 اقتبل بمعنى: استقبل. ينظر المغرب للمُطَرِّزِي، 371/1.

2 الظَرْفُ: البراعةُ وَدَكَاءُ الْقَلْبِ... وَقِيلَ: الظَرْفُ حَسْنُ الْعِبَارَةِ، وَقِيلَ: حُسْنُ الْهَيْئَةِ، وَقِيلَ: الْحِدْقُ بِالنَّيِّءِ. لسان العرب، 228/9.

له الشيخ عبد العزيز: «الخطابة تكون في زاويتي، وهي أوسع محلّ في البلد»، ثم خرجنا من مكتب رئيس الملحقة، وألستنا تلهج بالشأن على أدبه، ودمانة¹ أخلاقه، وأخلاق السيد التُّرْجُمَان، لمعرفتهما بمكانة الرّجال، ولعدم اغترارهما بالأكاذيب المُلفَّقة، والخُرَافَاتِ الفارغة، التي قام بها أعداءُ الأُمَّة والحكومة، الذين يريدون أن يتخذوا من الأُمَّة البائسة المسكينة بقرّة حُلوًّا لهم، ومَطِيَّةً ذُلُولًا لأغراضهم السَّافِلَةِ.

يتبع

1 الدمانة: سهولة الخلق. لسان العرب، 2/149.

(7) وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

بوادي سوف ونواحيها (2)¹

بقلم الشيخ حمزة بوكوشة، العضو الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

خَرَجْنَا مِنْ مَكْتَبِ رَئِيسِ الْمُتَحَقِّقَةِ، وَسِرْنَا لِتَنَاوُلِ الْغَدَاءِ عَلَى مَائِدَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَازْدَحَمَ النَّاسُ عَلَيْنَا، وَأَرَادَ أَعْوَانُ الْحُكُومَةِ اسْتِعْمَالَ الْعِصِيِّ فِي تَفْرِيقِ النَّاسِ عَلَيْنَا، فَنَهَرَهُمْ وَنَهَاهُم السَّيِّدُ الْحَاكِمُ، وَنَهَاهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْعِصِيِّ، فَازْدَادَ عَجَبْنَا بِحُسْنِ سَلُوكِهِ، وَبَعْدَمَا تَنَاوَلْنَا طَعَامَ الْغَدَاءِ ذَهَبْنَا لِلْمَحَلِّ الَّذِي هِيَأَهُ الشَّيْخُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِإِلْقَاءِ الدَّرُوسِ وَالْحُطْبِ، فَوَجَدْنَاهُ امْتِلَاءً بِالْجَاهِئِ، رَغْمَ اتِّسَاعِهِ، وَلَمَّا أَخَذْنَا مَجْلِسَنَا فِيهِ قَامَ الشَّيْخُ الْأَخْضَرُ شَبْرُؤُ، رَئِيسُ الشُّعْبَةِ، وَحَيَّ الْوَفْدَ وَرَحَّبَ بِهِ، وَعَرَّفَ الْحَاضِرِينَ بِهِ، ثُمَّ قَامَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنِ بَادِيسَ، وَأَلْقَى دَرَسًا فِي الْوَعظِ الدِّينِيِّ، ذَرَفَتْ لَهُ الْعَيُونُ، ثُمَّ تَلَاهُ الشَّيْخُ الْعَرَبِيُّ التَّبْسِيُّ بِمَحَاضِرَةٍ قِيَمَةٍ فِي التَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَقَامَ بَعْدَهُ الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بِخِطَابٍ بَلِيغٍ، سُنِّتَ نَصَّهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَكَانِ، ثُمَّ ذَهَبْنَا إِلَى صَلَاةِ الْمَغْرَبِ، وَرَغِبَ مِنَّا الْحَاضِرُونَ أَنْ نَلْقَى دَرَسًا بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ، فَرَجَعْنَا إِلَى الْمَحَلِّ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ، وَأَلْقَى الشَّيْخُ ابْنُ بَادِيسَ دَرَسًا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ

1 البصائر، عدد 94، ليوم 5 ذي القعدة 1356 هـ الموافق: 7 جانفي 1938 م، المجموعة الأولى،

وَاحِدَةً ﴿[النساء: 1]، وألقى الشيخ المبارك الملي درسا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، ثم قام الشيخ محمد خير الدين بخطاب يبيِّن فيه أعمالَ جمعيَّة العلماء، ثم قام كاتبُ هذه السُّطور، وألقى خطابًا يبيِّن فيه مزايا جمعيَّة العلماء على المجتمع الجزائري، وحثَّ الحاضرين على التعليم الصحيح، وحثَّهم من تقوُّلات المتقولِّين على رجال جمعيَّة العلماء، ثم قام الشيخُ ابنُ باديس وشكرَ الناسَ على الهدوء والنظام، وأمرهم بالانصراف، فخرج الناس هاتفين بجمعيَّة العلماء، وساخطين على المُدجِّلين الضالين، الذين حاولوا أن يُحوِّلوا بينهم وبين سماعِ وعظِّها وإرشادِها.

وصباحَ الخميسِ ذهبنا إلى (عَمِيْش) ودخلنا سوقَ (البَيَّاضَةِ)، وذهبنا إلى المسجدِ الذي بناه الشيخُ الهاشميُّ، فاجتمعَ علينا جمٌّ غفيرٌ من الناسِ فألقى عليهم الشيخُ ابنُ باديسَ خطابَ وعظٍّ وتذكيرٍ، ثم تلاه الشيخُ عبدُ العزيزِ بخطابٍ عرَّفَ فيه بالجمعيَّة، وحثَّ الأُمَّةَ من أَدعياءِ الولايةِ والصِّلاحِ الذين يريدون أن يأكلوا أموالَ الناسِ بالباطل، ثم قام الشيخُ العربيُّ التبسيُّ بخطابٍ حثَّ فيه على إحياءِ السُّنَّةِ وإماتَةِ البدعةِ، وتلاه الشيخُ المباركُ المليُّ بيانٍ في مقامِ الربوبيةِ والرسالةِ والولايةِ، وبعد ذلك ذهبنا إلى (القَبَابِ¹) حيث زاويةٌ

1 المقصود بها الزاوية القادرية بالربَّاح الوادي.

الشيخ الإمام¹، فاجتمعنا ببعض الشيوخ هناك، وعرفناهم بمبادئ جمعية العلماء، وبما تدعوا إليه، ثم عدنا إلى الوادي، وتناولنا طعام الغذاء، على مائدة الشيخ عبد العزيز، وبعد الزوال توجهنا إلى (الزُّقْم)، ووقفنا في طريقنا لها (بالْبُهَيْمَة²) حيث اعترضنا أهلها خارج البلدة، وألزمونا بالذهاب معهم إلى محل خاص، لنلقي لهم درسا، فذهبنا معهم للمحل، وقدموا لنا الشاي والقهوة، وألقى عليهم الشيخ ابن باديس درسا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مَوْسِيًّا وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82]، وقام بعده الشيخ عبد العزيز وقال: «سمعتم أن الله يأمركم أن يكون الشفاء من القرآن، فإذا قال مشايخ الطرق: أن الشفاء منا، فهل تصدقونهم؟» فقال الحاضرون بصوت واحد: لا، ثم قال لهم: «مشايخ الطرق يصدونكم عن جمعية العلماء، وهم في ذلك يصدونكم عن سبيل الله».

يتبع

1 هو الشيخ محمد الإمام بن الشيخ إبراهيم بن أحمد الشريف، شيخ الطريقة القادرية بنفطة تونس، من مواليد 1864م بنفطة، نشأ في رحاب والده، فقرأ القرآن ودرّس العلوم، قدم الوادي وأسس زاوية الرباح جنوب الوادي سنة 1884م، كان من المصلحين، والمبغضين للمستعمر الفرنسي، ويمتنع عن مقابلتهم ورؤية وجوههم. توفي سنة 1322هـ/4 ديسمبر سنة 1904م، ودفن بزاويته. ينظر: العلامة الموسوعي الشيخ حمزة بوكوشة، ص 49.

2 وهي بلدية حساني عبد الكريم حاليا.

(8) وفدُ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

بوادي سوف ونواحيها (3)¹

بقلم الشيخ: حمزة بوكوشة، العضو الإداري لجمعية العلماء المسلمين
الجزائريين

ثم غادرنا (البهيمّة) والشمسُ آذنةٌ بالمغيب، فصلّينا المغربَ ب: (الزُّمُّ)،
واقْتَبَلْنَا أهلَهَا اقتبالاً رائعاً خارج البلدة، ثم ذهبنا للمحلّ الذي أعدّوه لإلقاء
الدروس والخطب، فألقى علينا الشيخ أحمد الغولي² - أحد متطوعي جامع
الزيتونة - خطابَ ترحيبٍ نيابةً عن سكان البلدة، ثم ألقى الشيخُ ابنُ باديس
درسًا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَوْصِيْ بِهَا إِبْرَاهِيْمَ بَنِيّهٖ وَيَعْقُوبَ﴾ [البقرة: 131]
الآية، ثم تكلم الشيخ عبد العزيز في ثلاث مسائل: (أ) جمعية العلماء. (ب)
أذنب الحكومة الذين يتسبون إليها، وهي بريئة من أفعالهم. (ج) الطرقيون.
وشرح المسائل الثلاث شرحاً وافياً، فحثّ الأمة على اتباع جمعية العلماء

1 البصائر، عدد 95، ليوم 12 ذي القعدة 1356 هـ الموافق: 14 جانفي 1938 م، المجموعة الأولى،
47/3.

2 هو أحمد بن مصطفى بن خليفة الغولي، من مواليد بلدة الزقم سنة 1888م، حفظ القرآن الكريم
بمسجد الشيخ العدواني، على يد شيخه نصر الأخضرى، وتلقى مبادئ العلوم على يد شيخه الطاهر
بن بلقاسم معمري، تحصل على شهادة التطوع من جامع الزيتونة بتونس سنة 1928م، درس وعلم
بمسقط رأسه، وانتمى للحركة الإصلاحية، وضايقته السلطات الاستعمارية، فهاجر مرة أخرى
لتونس مدرّساً بقلعة سنان. وافته المنية سنة 1960م، ودفن بقلعة تونس. ينظر: أعلام من سوف في
الفقه والثقافة والأدب، ص 44-46.

وعدم الاكتراث بتهديد اذئاب الحكومة، وتدجيلات الطريقين، ونصح لهم بجلب مُدَرِّسٍ مصلحٍ يُعَلِّمُهُم دِينَهُم، ويَهْدُبُ أولادَهُم، ثم ألقى الشيخُ العَرَبِيُّ التَّبِيبِيُّ درسا في قوله صلى الله عليه وسلم: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»¹ الحديث، ثم قام الشيخُ (المُبَارَكُ المِيلِيُّ) وألقى درسا في الهداية الإسلامية وما تتطلبه، وبعده قام الشيخُ (محمدُ خيرُ الدِّينِ)، وتكلم عن فوائد تأسيسِ الشُّعَبِ للجمعية، ورَغِبَ من أهل (الرُّقْم) تأسيسَ شعبَةٍ لها هنا، فأسسوها حالا.

وتناولنا العشاء تلك الليلةَ (بالرُّقْم) وبتنا بها.

وفي صباح الجمعة توجهنا إلى الوادي، وقد كان في عزمنا أن نحاضرَ الأُمَّةَ بمحل الشيخ (عبد العزيز)، لكننا رأينا بمناسبة يوم الجمعة - وهو يوم سوق البلدة يحضره الحاضر والبادي - أن نحاضرَ وسط السوق، فذهب الشيخُ (عبد العزيز) لرئيس المُلْحَقَةِ (السَّيِّدُ القُبْطَانِ)، وفاوَضَه في ذلك، فأذن لنا، فعدنا الاجتماع بالسوق، وحضره خلق كثير، فألقى عليهم (الشيخُ ابنُ باديس) خطابا اجتماعيا في الأخوة الإسلامية، والأخوة الإنسانية، والروابط التي تربط الفرد بالمجتمع، ثم وعظ الحاضرين الشيخُ (العَرَبِيُّ التَّبِيبِيُّ)، وتلاه الشيخُ (مُبَارَكُ المِيلِيُّ)، بكلام في الشرك والتوحيد، بعدما قدَّمه الشيخُ (عبد العزيز) للحاضرين.

1 رواه مسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان عن تميم الداري رضي الله عنه، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم: 196، ص 95.

ثم تكلم كاتبُ هذه السطورِ وشكرَ أهاليَ سوف على حفاوتهم بجمعية العلماء والممثلين لها، وكان مما قاله: «إن كنتُ أعجبُ من أحد فأنا أعجبُ من الذي حاول عرقلتنا، وصدَّ الأمةَ عنَّا، والحيلولةَ بيننا وبينها، فبيننا نحنُ عزَّل لا سلاحَ لنا إلا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وعددنا لا يتجاوز سبعَ رجال، إذا بداعية الضلال يستجيش المئات من الرجال للاعتداء علينا، وما درى المغرور أنه بذلك يحاول الاعتداء على الله ورسوله، ثم تكلم الشيخ (محمدُ خير الدين) وشكرَ الحاضرين ووعظهم، وبعد أمرنا الناسَ بالانصراف، حيث وقتُ صلاة الجمعة، فذهبنا للصلاة، وبعد انقضائها تناولنا طعامَ الغذاء على مائدة الشَّابِّ السيِّد (البشيرِ شَيْحَة)، وبعده ذهبنا لمكتب رئيس الملحقة قَصْدَ وداعِهِ وأداءِ واجبِ الشكر له، فوجدنا السيد الترجمان، فقابَلنا برئيس الملحقة (السَيِّد القُبْطَانِ)، فأدَّيَا لنا تَشْكُرَاتِنَا، وقال له الشيخُ ابنُ باديسَ: «قد كنتُ أعطيتكم كلمة الشَّرَف بأن لا يحدُّث أقلُّ هَرَجٍ ولا تشويشٍ، ولا نترك وراءنا إلا الأثرَ الحسن في هذه الديارِ، وقد حقَّقَ اللهُ ذلك»، فقال السيِّدُ القُبْطَانُ: «تحققت ذلك، وإني أشكركم، وأتمنى لكم رحلة ميمونة»، فودَّعناه، وودَّعنا السيد الترجمان، ونحن في غاية من الإعجاب بلطفها وظرفها، وعندما أردنا امتطاء السيارة أخذت لنا شعبة الوادي صورةً شمسية.

يتبع

(9) وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

بوادي سوف ونواحيها (4)¹

بقلم: الشيخ حمزة بوكوشة، العضو الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

ثم ركبنا السيارة، وسرنا إلى (تَكْسِبَتَ)، فاستقبلتنا شُعبَتُها، وأهالي البلدة، وقام لنا تلامذة مكتبها القرآني، بنشيد ترحيبٍ، وألقى معلّمهم السيّد عبد الحفيظ خطابا، وتلاه الشابُّ الناهضُ السيّد الطيّبُ بنُ السيّد الحاجّ عبد القادر بن فرحاتَ بخطابٍ أتيق، ثم تكلم الشيخُ ابنُ باديسَ عن ثمرات جمعية العلماء المسلمين، وبعده قام السيّد (مصباحُ بنُ الطيّبِ²) - أحدُ تلامذة جامع الزيتونة - بإلقاء قصيدةٍ مطلعها:

1 البصائر، عدد 96، ليوم 19 ذي القعدة 1356 هـ الموافق: 21 جانفي 1938 م، ص 3.
2 هو الشيخ العلامة: مصباح بن محمد الطيب حويدق، من مواليد قرية الطريفوي، سنة: 1902م، تربى في عائلة القرآن رفقة أخيه الشهيد الإمام عبد الكريم، بدأ حفظ القرآن في مسجد القرية على يد والده محمد الطيب، مع اشتغاله بالفلاحة مع والده، وفي سنة 1931 التحق بالزيتونة، ودرس إلى غاية 1938م، كان من رجال الإصلاح، فانضم لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ودعاه الشيخ البشير الإبراهيمي سنة: 1946م، وعُيّن على وفد الدعوة الموجه إلى مدينة الحراش، انتقل إلى مستغانم مكلفا بتلك الناحية في الدعوة ثم المشاركة في الثورة التحريرية مع انطلاقها، اعتقل عام 1956م، وعذبته السلطات الاستعمارية الفرنسية عذابا شديدا، ومن أسباب ذلك رفعه للأذان بالسجن، وأطلق سراحه سنة 1959م. وبعد الاستقلال عاد إلى الحراش خطيبا في المسجد الكبير إلى سنة 1970م. يذكر الشيخ محمد الطاهر آيت علجت رحمه الله أنه درس على الشيخ مصباح سبعة علوم بالزاوية الحملاوية. توفي رحمه الله في 1973/02/28م بمستغانم، وصلى عليه رفيق دربه الشيخ عبد اللطيف سلطاني رحمهما الله تعالى. من ترجمة مكتوبة من ابن أخته شيخي عبد الله بن مختار حويدق، يوم: 2015/1/1م.

الفجرُ أشرقَ والدَّهرُ يتلَوْنُ.

ثم بَارَحْنَا (تَكْسِبَتْ)، ووقفنا وقفة (بِكُؤِينِ)، وألقى الشيخُ (ابنُ باديسَ) على مسامع أهلها خطابَ وعظَ وإرشادٍ، ومن ثَمَّتْ توجَّهنا إلى (تَعزُوتَ) تلبيةً لدعوة شيخ زاوِيَتِهَا الشيخِ (العِيدِ التَّجَانِيِّ) فاستقبلنا بحفاوة لا مزيد عليها، وقام الأبناء بنشيدٍ ترحيبٍ بالعلماءِ، وخطبَ فصيحَةً، وشرَبنا الشايَ هناك، وصلينا صلاة العشاء، ثم ذهبنا إلى (قَمَارُ) للمبيت والسَّمَرِ، وتناول طعام العشاءِ.

وعلى الساعة التاسعة من صباح يوم السبت عقدنا اجتماعا (بِقَمَارُ) بِمَحَلِّ خاصٍّ، متَّسع الأرجاءِ فقام الشيخُ (محمَّدُ الطَّاهِرِ)، وعرَّف الأُمَّةَ بجمعيَّة العلماءِ وأيادِهَا، ثم ألقى الشيخُ (ابنُ باديسَ) درسا في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ﴾ [الأحزاب: 21]، ثم تكلم الشيخُ (خيرُ الدِّينِ) كلمةً في الاقتداء والائتساء، وحثَّ الناسَ على مدارسِ سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وسيرة السلف الصالح، فإنهم خيرُ قدوةٍ لمن اقتدى، ثم ألقى (الشيخُ العَرَبِيُّ التَّبَسِّيُّ) درسا في قوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ¹»، وتبعه الشيخُ (المباركُ الميليُّ) بدرس في قوله صلى الله عليه وسلم: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمَّ²»، وحملَ فيه على الطرق

1 رواه مسلم، كتاب الأفضية، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، برقم: 4492، ص 733.

2 رواه مسلم، كتاب الإيمان، عن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه، باب جامع أوصاف الإسلام، برقم: 159، ص 90.

وشبهاتها، حتى أقنعَ الحاضرِين بأن لا طرقيّة في الإسلام.

ثم قال الشيخُ (ابنُ باديسَ): «لا تأسفوا إن فاتتكم الطرق، فإن لكم طريقةً من أجملِ الطرقِ، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:154]»، ثم أخذ يفسر الآيةَ تفسيرًا محكمًا.

ثم قام الشيخُ (عبدُ العزيز) وقال: «إن الطرق بدعة لا أصل لها في الدين، فحسبكم التمسك بالكتاب والسنة». وقال: «انظروا أيها الإخوان إلى الفرق بين العلماء وشيوخ الطرق، العلماء أتوكم مجتمعين لتبليغ العظات، وشيوخ الطرق يأتونكم متفرقين في سباق لأخذ الزيارات، الطرق شتتكم، وأضرت بكم في دينكم ودنياكم، والعلماء يريدون إرجاعكم إلى الكتاب والسنة، وتعليمكم العلم الصحيح».

ثم ألقى كاتب هذه السطور كلمة في الطرق ومخازيها، ودعاؤها الباطلة، واستباحة بعض ساداتها وقاداتها للمُحرّمات، ثم ألقى الأديب السيدُ (محمدُ الغُريبي) خطابًا في أعمال جمعية العلماء، والثناء على عزيمة رجالها، وبعد تناول طعام الغداء ودعنا أهل بلدة (قَمَار) وسرنا إلى (الرَّقِيبة) فاستقبلنا أهلها بباقات الحَبَقِ والنَّعناع، وألقى على مسامعنا السيدُ (الهادي جاب الله¹) قصيدة من الشُّعر المَلْحُونِ في الإشادة بجمعيّة العلماء، ثم قام السيد (عثمانُ بنُ أحمدَ بنِ

1 هو محمد الهادي بن علي بن عبد القادر جاب الله في زاوية سيدي عبد الله بالوادي سنة 1882م، حفظ القرآن الكريم على والده، وبرع في الشعر، سافر للزيان، للعمل فيها، ثم عاد للوادي، وكانت مهنته خرص النخيل بوادي ريغ، واشتغل بتجارة التمور. توفي سنة: 1978م في الجزائر العاصمة، ودفن بالرقبة الوادي. ينظر: العلامة الموسوعي الشيخ حمزة بوكوشة، ص 51-52.

إبراهيم¹) أحد تلاميذة جامع الزيتونة بخطابٍ ترحيبٍ، ثم شربنا الشاي أخذًا بخاطر أهلها الذين أحووا علينا في المبيت عندهم فلم نبت، وذهبنا إلى رَحْبَةٍ فسيحة بجوار المسجدين، وألقى الشيخُ (ابنُ باديس) درسًا في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10]، تعرَّضَ في أثنائه للأخوة بأنواعها: دينية وإنسانية وحيوانية.

ثم قام الشيخُ (عبدُ العزيز) وحذَّره من الدجاجالين أدياء الولاية، الذين يريدون امتصاص دم الأمة، واستغلال غفلتها، وصدَّها عن كل ما يُنهضها من كبوتها، كذلك المائنين² الأثيم، الذي حاول وضع الأشواك في سبيل جمعية العلماء، فجعل الله كيده في نحره، والله لا يفلح كيد الخائنين.

ثم ودَّعنا أهل (الرَّقِيْبِيَّة)، وامتطينا السيارة إلى (بِسْكَرَة) عند الاصفرار، وما فارقتنا رمال (وادي سوف) إلا بعد الغروب.

1 هو شيخنا الهمام: عثمان بن أحمد بن إبراهيم بن منصور المدعو: شَكْرِيْبِيَّة، وهو لقب لجده أحمد، ولد سنة 1911، ومسجل في الوثائق الرسمية سنة 1922م، بالوادي بحى الأعشاش، حفظ القرآن على يد شيخه سيدي موسى وعمره أحد عشر سنة، وصلى بالناس التراويح تلك السنة. انتقل إلى جامع الزيتونة ودرس على يد علمائه، وتحصل فيه على شهادة التطويح، وتولى الإمامة في مساجد الولاية قبل الاستقلال وبعده، وكذا شغل وظيفة معلم سنوات عديدة في بسكرة والجزائر العاصمة، وغيرهما. أحيل على التقاعد في: 1989/5/1م.

مات في 16 أوت 1995م، ودفن ضحى يوم 17 أوت بمقبرة الأعشاش.

لقاء مع ابنه الشيخ أحمد بن عثمان مجوري في بيته بحى الرمال، يوم الأحد مساء 7 فيفري 2021.
2 المئين: الكذب، يُقال: مان يمين مئيناً، فهو مائن، أي: كاذب، والأثيم: كثير ركوب الإثم. لسان العرب، 426/13. وتاج العروس، 187/31.

(10) الأدب الجزائري

مجلة الشهاب واحترام الأفكار¹

نشرت مجلة (الشَّهاب) الغراء في عددها الأخير²: مُساجلةً شعريةً جرَّت بين ثلاثة من الشعراء، وأنا لا أتعرَّضُ لما في تلك المُساجلة من الجزالة³ أو عدمها: لأن الأديب الجزائري لم يتعوّد النقد، وهو الآن في دور ما شدَّ صدق قول القائل عليه:

خَطَرَاتُ النَّسِيمِ تَجْرُحُ حَدِيدَ هِ وَلَمَسُ الْحَرِيرِ يُدْمِي بَنَانَهُ⁴

والذي يهمني هي التَّقْدِمة التي قدَّم بها صاحب (الشَّهاب) تلك المُساجلة، حيث قال: «وكأنتهم خاطبوا في ذلك الشخص المرئي شخصاً غير مرئي⁵».

وبما أني عرفت من صاحب (الشَّهاب) الرجوع إلى الحقِّ مهما أومض له بريقهُ، رأيت مؤاخذته على تلك التَّقْدِمة، خدمةً للأدب والأدباء، ودفعاً للمعرَّة⁶ عن الشعر والشعراء.

1 البصائر، عدد 129، ليوم 7 رجب 1357 هـ الموافق 2 سبتمبر 1938 م، المجموعة الأولى، 325/3.

2 الشهاب، ج3، مجلد 14، عدد: ربيع الثاني 1357 هـ/جوان 1938 م، ص 128.

3 قال في لسان العرب، 109/11: «وَاللَّفْظُ الْجَزْلُ: خِلَافُ الرَّكِيكِ».

4 البيت لشهاب الدين العزازي. ينظر: ديوانه، ص 306.

5 الشهاب، ج3، مجلد 14، عدد: ربيع الثاني 1357 هـ/جوان 1938 م، ص 128.

6 المعرَّة: الأمر القبيح المكروه المعيب، والأذى. ينظر: تفسير ابن جزي، 290/2، والنهاية في غريب

الحديث والأثر، 382/4، ولسان العرب، 556/4.

الشعراء الثلاثة، مرّت بهم في إحدى المنتزهات - والصبح مسفرّ - فتاة ذات طرف كحيل¹، وخدّ الجميل²، وردف³ ثقيل، وخصر⁴ نحيل⁵، حرّكت شاعرية أحدهم فقال:

وفتاة مرّت بنا ذا صباح
تتّنى كأنها غصن بان
فأجازه الأخوان.

فكبر على صاحب (الشّهاب) أن ينشر في مجلته قطعة من الشعر الصّادق الذي يترجم عمّا في القلوب: أنطقت بها الطبيعة أولئك الشعراء وحرّرتهم من تقاليد الدهماء⁶ من الناس.

فكأنّ الشعراء أجزموا في نظر صاحب (الشّهاب)، فلطف من جريمتهم، ونصح لهم من طرف خفيّ بأن يخاطبوا في ذلك الشخص المرئيّ شخصا غير

1 الطرف: العين، يُقال: عَيْنٌ كَحِيلٌ، بغير هاءٍ، أي مكحولة... والكحل: سوادٌ في أجنان العين خلقة. ينظر: الصحاح، ص 637، ولسان العرب، 584/11.

2 تشبيهه بليغ، حيث شبه الشيخ خدّ المرأة بنبات اسمه: خدّ الجميل، وهو من الصباريات، فإذا واجهته الشمس احمرّ، فلم يبق الشيخ هنا إلا المشبه به.

3 ردّف المرأة وهو عجزها والجمع أزداف. المصباح المنير، ص 118.

4 الخصر: وسط الإنسان، وجمعه خصور. لسان العرب، 240/4.

5 نحيل، أي: نحيف دقيق. لسان العرب، 649/11.

6 دهماء الناس: جماعتهم. الصحاح، ص 359.

مرئي.

ولست أدري هل أن صاحب (الشهاب) يرى حُبَّ النساءِ والتَّشْيِيبِ
بالنِّسَاءِ مُنْكَرًا من القولِ وزورًا؟ أو أنه يخشى اتهام أولئك الشعراء بالمجون،
والمُجُونُ في نظرِ الكثيرِ فسقٌ؟

وعلى كلتا الحالتين فهو يحاول من وراء ذلك الرجوعَ بالشُّعْرِ والشُّعْرَاءِ إلى
العصورِ المظلمة، التي كان يتغزَّلُ فيها الرجلُ بخليطته أو حليته، ويدَّعي -
رياءَ الناسِ - أنه يتغزَّلُ في الحضرةِ الإلهيةِ أو الحضرةِ النبويةِ!!

أعيدُكَ باللهِ يا صاحبَ (الشَّهابِ) أن تكون من الذين يُبَسِّونَ الحقَّ
بالباطلِ ويكتمون الحقَّ وهم يعلمون.

فلا وَرَبِّكَ ما خَاطَبَ أولئك الشعراءُ إلا فتاةً من لحمٍ ودمٍ، ولا جناحَ
عليهم في ذلك، ما دام حُبُّ النساءِ غريزةً في الرجالِ فَطَرَهُمُ اللهُ عليها، وقد
قال في كتابه:

﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ [آل عمران: 14]، وقال
صلى الله عليه وسلم: «حُبِّبَ إِلَيَّ من دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ: النِّسَاءُ وَالطَّيِّبُ وَجَعَلْتُ
قُرَّةَ عَيْنِي الصَّلَاةُ»¹. وتقديم ذكرِ النساءِ يفيدُ الاهتمامَ بهنَّ، إذ حُبُّهنَّ لا يسمُوهُ

1 رواه النسائي بلفظ: «حب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعل قره عيني في الصلاة»، والحاكم،
وغيرهما، دون قوله «ثلاث». ينظر: سنن النسائي، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، =

حُبُّ

وهذا (حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ) الأَنْصَارِيُّ شَاعِرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يقول:

يَا لَقَوْمٍ هَلْ يَقْتُلُ الْمَرْءَ مِثْلِي
وَاهُنُ الْبَطْشُ وَالْعِظَامُ سَوْوَمٌ
شَأْنَهَا الْعِطْرُ وَالْفِرَاشُ وَيَعْلُو
هَا جُحَيْنٌ وَلَوْلُو مَنظُومٌ
لَوْ يَدِبُّ الْحَوِيُّ مِنْ وَدِّ الذِّ
رٍّ عَلَيْهَا لِأَنْدَبَتْهَا الْكُلُومُ¹

= ص 913، والمستدرک، کتاب النکاح، قال الحاکم: هذا حدیث صحیح علی شرط مسلم ولم

یخرجاه، ووافقه الذهبي. ينظر: المستدرک، کتاب النکاح، 2/174.

1 دیوان حسان، ص 222-223.

وقد كان صلى الله عليه وسلم ينصبُ له منبرًا في مسجده، ويدعو الناس إلى استماع شعره¹.

وهذا (كعبُ بنُ زهيرٍ) جاء في قصيدته التي أنشدها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم بيتٌ لو نظَّمَهُ أحدُ شعراءِ العصرِ، ورغِبَ من مجلَّة (الشَّهاب) نشره لما نشرته دون أن تقول: «وكانه خاطب في ذلك الشخص المرئي شخصًا غير مرئي» وذلك البيت هو قوله:

هيفاءً مَقْبَلَةً عَجْزَاءُ مُدْبِرَةً

لا يُشْتَكَى قِصْرَ مِنْهَا وَلَا طُولَ²

ولن يستطيع أيُّ شاعرٍ أن يصوِّرَ المرأةَ تصويرًا يستهوي الأفتدة أروع من هذا التصوير.

ومجملُ القول: لو كان التغزُّلُ في النساءِ هَجْرًا من القولِ لنهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا أرى أنَّ صاحبَ (الشَّهابِ) ظلمَ أولئك الشعراءَ،

1 كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرًا في المسجد يقوم عليه قائمًا يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قال ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما يفاخر أو ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح. ينظر: سنن الترمذي، كتاب الاستئذان والآداب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في إنشاد الشعر، ص 983-984.

2 ينظر: السيرة النبوية لابن إسحاق، 2/591، وديوان كعب بن زهير، ص 123.

ولا نكرانَ عليٍّ إذا صرَّحتُ بعد هذا بأني:

أُحِبُّ النِّسَاءَ وَذَكَرَ النِّسَاءَ

وَيُعْجِبُ قَلْبِي لِذِيهِ الْغِنَاءِ¹

وأنا أحتفظ بديني وشرفي وكرامتي كشابٍّ مسلمٍ متديِّنٍ

ولله مني جانبٌ لا أُضِيعُهُ

وللهو مني والخلاعة جانب²

(فليُفِلِّة)، (حمزة بوكوشة)³.

1 البيت غير منسوب كما في الظرف والظرفاء، ص 133.

2 البيت غير منسوب كما في التذكرة الحمدونية، 199/7 وفيها: «جانب ونصيب» بدل: «والخلاعة جانب»، ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص، 45/1، ونثر الدر، منسوب لامرأة، 298/2، وبعد هذا البيت في التذكرة الحمدونية:

ولست أبا لي من رمانى بريية إذا كنتُ عند الله غيرَ مريب.

3 جاء في البصائر بعد مقال الشيخ حمزة، ص 325: (البصائر): نشرنا هاته النظرة، لا فتوى دينية تصور ما يجوزه الشرع في هذا الموضوع، ولكن كرايٍ أدبيٍّ في موضوع هامٍّ، هو النقد الأدبي الذي نودُّ أن يُعنى به كتابنا في غير مساسٍ بالأشخاص ولا ازدراءٍ بالأنظار.

وبقطع النظر عن صوابٍ أو خطإٍ الناحية التي فهمها الناقد من كلمة «الشهابِ الغرَّاءِ»، لا نمنعُ أن تكونَ تلكَ الكلمةُ ناظرةً إلى المعنى الذي أعربَ عنه هذا الناقدُ في قصيدةٍ لهُ بالبصائرِ، إذ يقول:

هيئاتٌ يسبي فؤادي في منازلٍ من سَبَّوا بلادي فَبِتْ شِبَهَ مَطْرُودِ

(11) القضاء الإسلامي في الجزائر¹

كان القضاء الإسلامي قبل أن تطأ أقدام الفرنسيين هذه الديار، أكبر منصب بعد الإمامة العظمى، إذ القاضي هو المنفذ بالشرع للأحكام، وأحكامه تشمل حتى الأمراء والوزراء، ولا يند أحد عن تلك الأحكام مهما كبر شأنه وعظم سلطانه، كما أنه يقضي في كل ما يتناوله اسم القضاء من جنح وجنات وغير ذلك، وكان دليل القاضي في أحكامه كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وكتب الفقه الإسلامي المستنبطة منها.

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: 46]،
وأي مسلم لا يحكم بما أنزل الله؟! وأي مسلم ينبغي بحكم الله بديلاً؟!
﴿أَبْحَكَمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لَفِئَةٌ يَوْمِنُونَ﴾
[المائدة: 52]، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 64].

عاش القضاء الإسلامي بالجزائر حقبة من الدهر ينعم بما ينعم به القضاء في بلاد الإسلام: من كفاءة في الرجال الذين يتولونهم، ومقدرة على فصل القضايا وورع واستقامة، ونزاهة وحفظ كرامة، وإطلاع على الأمهات، واضطلاع

1 البصائر، العدد 1، عدد الجمعة 7 رمضان 1366 هـ الموافق 25 جويلية 1947م، المجموعة الثانية،

بالمُهَمَّاتِ، وسلطانٍ واسعِ النُّفوذِ.

ومنذُ نَجَمَ قَرْنُ الاستعمارِ الأفرنسيِّ بهذه البلادِ، وبسطَ جناحَ نفوذِهِ عليها، أخذَ ظِلَّ القضاءِ الإسلاميِّ يتقلَّصُ رُوَيْدًا رُوَيْدًا بمفعولِ الأوامرِ والإصلاحاتِ التي ظاهرُها فيه الرحمةُ، وباطنُها من قبَلِهِ العذابُ.

وهي أوامرٌ وقوانينٌ ما سُنَّتْ إلا لسلبِ القضاءِ الإسلاميِّ كلَّ معنى من معاني الحياة، وتركه هيكلاً بلا رُوح، إن لم أقلُّ أثرًا بعد عَيْنٍ.

والويلُ كلُّ الويلِ لمن قامَ مُفَنِّدًا لتلك الإصلاحاتِ المُقَنَّعةِ من رجالِ العِلْمِ والدينِ، تناصبهُ الحكومةُ العَدَاءَ علانيَّةً، وتطرَّدهُ من وظيفِهِ إن كان من الموظفين، إن لم أقلُّ تَسْتَصْفِي¹ أمواله، وتخرجهُ من أرضِهِ، كما أخرجتُ (الشيخَ بنَ الكَبَابُطِيِّ²) وغيره من شهداءِ عصرِ الاحتلالِ، والاحتلالُ وأساليبهُ المُرَوَّعةُ، ينتهي في أَكْلِ أُمَّةٍ ببسطِ المحتلِّ سيطرتهُ ونفوذَهُ عليها، إلا

1 في تاج العروس: « استصفي ماله: أخذه كله، وهو مجاز ». تاج العروس، 427/38.

2 هو الشيخ مصطفى بن محمد بن عبد الرحمن المشتهر بالكَبَابُطِيِّ، من مواليد: شوال 1189 هـ بمدينة الجزائر (مزغنة قديما)، فقيه محدث جزائري مالكي، شاعر، كان مفتيا بمدينة الجزائر في بداية الاستعمار الفرنسي للجزائر: 1259 هـ، عارض استيلاء الاستعمار الفرنسي على الأوقاف الإسلامية، وأبطل زواج جزائرية من نصراني فرنسي إفتاء، وحكم عليها القاضي «وعزيز» بالإعدام، أراد ثورة ضد فرنسا بأموال الأوقاف، ففتته السلطات الاستعمارية إلى مصر سنة: 1843م، استوطن الإسكندرية، وتوفي بها سنة: 1278هـ/ 1860م. ينظر: أعيان من المشاركة والمغاربة، ص 212-216، وأبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، 11/2-35، وتاريخ الجزائر الثقافي، 29/5، 358/6-359، 96/7-97، وأعلام من المغرب العربي، 1/23-28، ومعجم أعلام الجزائر، ص 363.

الأمة الجزائرية المسكينة فأساليب الاحتلال فيها تتجدد بين الفينة والفينة، وهي على الدوام مفزعة مروعّة، قابلة للتجدد والحديث والتفنن والتلون، ولا تقف عند حدّ.

وإذا كان الاستعمار في بلاد الله يقنع باستغلال الأرض، واستغلال اليد العاملة من أبناء الوطن، فالاستعمار بالجزائر تجاوز الماديات إلى الروحيات، وجلب على مسخها بخيله ورجله¹، وحاول عبثاً استعمار القلوب، والضرب بسور من حديد بين حاضر الأمة وماضيها، ولم يبق لها من دينها إلا أسماء بدون مسميات.

فهذا القضاء الإسلامي - وهو روح الدين - أصبح في القطر الجزائري المنكود² لا يتجاوز الأنكحة والمواريث وتنفيذ أحكام قضاة الصلح الأفرنسيين، وقضاة الصلح الأفرنسيون تمتد أيديهم حتى للبقية الباقية من قضايا الأنكحة، والمواريث التي كانت مما يختص به القضاة المسلمون إذا تحاكم إليهم الخصمان، هذا في الأرض المدنية، أما أرض الجنوب التي لازالت تئن تحت الحكم العسكري، - والحاكم العسكري فيها هو الحاكم بأمره - فالقضاء فيها أوسع نفوذاً من القضاء بالأرض المدنية، ولكن القاضي المسلم

1 يراد بالخيال: الفرسان الراكبون على خيل، والرجل: جمع راجل وهو الذي يمشي على رجليه. ينظر: تفسير ابن جزي، 450/1.

2 النكد: الشؤم واللؤم، ... وكُلُّ شَيْءٍ جَرَّ عَلَى صَاحِبِهِ شَرًّا، فَهُوَ نَكْدٌ، وَصَاحِبُهُ أَنْكَدٌ نَكْدًا. ونكد عيشهم، بالكسر، ينكد نكدًا: اشتد. لسان العرب، 428/3.

فيها، وإن أفرخ روعه¹، وهدأت نفسه، من عدم مزاحمة قاضي الصلح له، واغتصاب السلطة والنفوذ منه، فهو مُهددٌ دائما من بعض الضباط العسكريين الذين هم بجواره كالتراجمة ورؤساء المُلحقات، فالبعض من هؤلاء يُدخلون أنوفهم في كل شيء، وكثيرٌ منهم لا يفقهون من التشريع الإسلامي فتَيْلا، ويجرؤون على إلزام القاضي المسلم في بعض الأحيان بالحكم في مصلحة أحد الخصمين؛ وإن لم يمثل القاضي لتلك الأوامر يتربصون به الدوائر، ويُلفقون عليه تقارير للمراجع العليا، يتركونه من جرأئها عرضةً للعزل أو الإلزام بالتقاعد.

فقضاة أرض الجنوب رغم زيادة النفوذ الذي يتمتعون به ظاهرا، يُعانون أشدَّ البلاء من تدخل بعض الحكام العسكريين، وهكذا أصبح القضاء الإسلامي بالجزائر منظرا بدون مخبر، وعرضا بدون جوهر؛ لاسيما بعد صدور قرار نوفمبر سنة 1944، ذلك القرار الذي أباح للمحاكم الأفرنسية مزاحمة المحاكم الإسلامية في دائرة نفوذها الذي هو أضيّق من سَم الحياط.

وبمقتضى ذلك القرار أصبح الناس مُخيرين في رفع قضاياهم الشخصية إلى المحاكم الأفرنسية، أو المحاكم الإسلامية، أما مسائل المعاملات - فضلا عن الجنائيات - فهي من مختصات المحاكم الأفرنسية.

ولست أدري إذن ما بقي للقضاء الإسلامي من نفوذ؟ ولست بمجازف إذا

1 أفرخ روعك: خلا قلبك من الهمّ خلّو البيضة من الفرخ. أساس البلاغة، 14/2.

قلتُ إنَّ دام العملُ بهذه القرارات فالقضاء الإسلاميُّ في أمَدٍ ليس بالبعيد
ينمحي اسمه، وينظَّم رسمُه من هذه البلاد المسلمة العربية.

وليحذر المسلمون من هذه الشِّبَاكِ التي تُحَاكُ حول القضاء، فما القضاءُ إلا
رُوحُ الدِّينِ.

وإذا كنا نستدلُّ بظواهر الأشياء على بواطنها، فإننا نجزم أن الإدارة تُعتبرُ
القضاءَ الإسلاميَّ بالجزائرِ عَرَضاً من الأعراض التي تزول طال الزمانُ أو
قصر، ولا أدلُّ على ذلك من أن غالبَ المحاكم الإسلامية مَسُوَّعَةٌ بالكِراءِ، بينما
المحاكمُ الأفرنسيَّةُ من أملاك الدولة، فلو كانت النِّيَّةُ حسنةً لكانت المحاكم
الإسلامية أيضاً من أملاك الدولة، وكان لِقُضائِها من الامتيازاتِ ما لقضاةِ
المحاكم الأفرنسية.

ولكنَّ الإدارة لا تجهلُ أن المحاكمَ الإسلامية بمقتضى القرارات لا تستقرُّ
على حالٍ، وقد أدخلتَها تلك القراراتُ في حيزِ الاضمحلالِ والزوالِ.

وإني لأعجبُ بعد هذا لِمَنْ يدَّعي أن الديانةَ الإسلامية حرةٌ بالجزائر، فليت
شعري ما هي الديانةُ الإسلامية، وما هي شُعبُها؟! وما هي الحرية، وما هو
معناها؟

إن كانت شُعبُ الديانةِ الإسلامية - وإن تعددت - ترجع إلى شعبتين:
شُعبَةُ العبادات، وشُعبَةُ المعاملات، فالمسلمون لا يُصلُّون وراء من يُجْبُون، ولا
يُجْبُون كما يريدون، وكثيراً ما يصدُّونهم عن حجِّ بيتِ الله الحرام، وكثيراً ما

يُوحُونَ إلى شياطينهم بتفريق كلمة المسلمين في الإفطار والصَّيام، لعنَ الله السياسةَ، أدخلتْ أظافرَها في العباداتِ والمعاملاتِ على السَّواءِ، وما كفاها التَّدخُّلُ في المعاملاتِ بين الإنسانِ والإنسانِ؛ حتى تَدَخَّلَتْ فيما بين المرءِ وربِّه. هذه نظرةٌ فيما مُنِيَ به القضاءُ الإسلاميُّ في الجزائرِ؛ وستتكلّم في العدد القادم على موقفِ جمعيّةِ العلماءِ المسلمين الجزائريّين من هذه المَهازلِ، وما قدَّمته من تقاريرٍ للحكومةِ مطالبةً إياها بحريّةِ الدِّينِ، وعلى الخصوصِ حريّةِ القضاءِ وإصلاحه، ولكنَّ أُذُنَ الإدارةِ عن الخيرِ صَمَاءٌ.

(12) القضاء الإسلامي في الجزائر (02)¹

منذ تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ وهي تعمل على انتزاع الديانة الإسلامية من براثن² الاستعمار الغاشم، ولم تفتُر عن المطالبة بإصلاح القضاء الإسلامي، واستقلاله عن القضاء الأفرنسي، كلما قدمت مطالبها للمراجع العليا؛ أو فتحت تلك المراجع مع الجمعية باب المفاهمة، ذلك الباب الذي تسده أحيانا وتفتحه أحيانا، حسب مقتضيات الأحوال والظروف؛ إلى أن أتت سنة 1936 وحامت حول القضية الجزائرية برامج استعمارية مموهة، ترمي عن قوس الاندماج، قام - إذ ذاك - رئيس جمعية العلماء الراحل (عبد الحميد بن باديس) رحمه الله، وكون مؤتمرا إسلاميا جزائريا، وقدم إليه مطالب باسم جمعية العلماء، أقرها ذلك المؤتمر بالإجماع، وجعلها ضمن مطالبه السياسية، وذهب وفد بها إلى فرنسا، وهي تلخص في: «المحافظة التامة على جميع الذاتية، واعتبار اللغة العربية لغة رسمية، وتنظيم القضاء الإسلامي بوضع مجلة أحكام شرعية على يد هيئة إسلامية، تحت إشراف الجمعيات الدينية المؤسسة على منوال القوانين المتعلقة بفصل الدين عن الحكومة».

1 البصائر، العدد 2، عدد الجمعة 14 رمضان 1366 هـ الموافق 01 أوت 1947م، المجموعة الثانية، 14/1.

2 قال ابن قتيبة: «السباع لها: مخالب، وهي أظفيرها...، والبرائن منها بمنزلة الأصابع من يد الإنسان ورجله، واحدها: بُرُنٌّ». أدب الكاتب، ص 170-171.

وكيفية تنظيم القضاء الإسلامي التي طالبَ بها (ابنُ باديس) على لسان الجمعية تنسِف الإصلاحاتِ الموهومة التي تحاولُ الإدارة إجراءها تحديراً للأعصاب، وذراً للرماد في العيون؛ وذلك أن الإدارة أوشكت قبل ذلك بأعوام أن تُلزمَ القضاةَ العملَ بمجلة: (المسيو موران¹)، ومجلة (المسيو موران)

1 يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله متحدثاً عن هذا المشروع الفرنسي، وعن هذه المجلة، وعن مصيرها: « أما الفرنسيون فقد كان غرضهم أمراً آخر، كانوا يريدون إخضاع المعاملات الإسلامية للقانون الفرنسي، وحصر الشريعة في مسائل الزواج والطلاق، لأن التركات قد تدخّل فيها القانون الفرنسي أيضاً. وهكذا فبعد نصف قرن (منذ 1850) من تجريد القضاء الإسلامي من اختصاصاته، عيّن الفرنسيون لجنة لتدوين الفقه في مجلة يصدرونها بعنوان: (مجلة الأحكام الإسلامية). وكان ذلك في عهد: «دومينيك لوسيان» الذي كان على رأس إدارة الشؤون الأهلية. تعيّن «مارسيل موران»، أستاذ الشريعة الإسلامية في كلية الحقوق على رأس اللّجنة، وكانت تضم عناصر من الجزائريين والفرنسيين. ورغم دور «لوسيان» و«موران» فإن (مجلة الأحكام) صدرت بإسم عالين جزائريين هما: «مصطفى بن أحمد الشرشالي»، و«عبد الرزاق بن محمد الأشرف»، وظهرت المجلة سنة 1907، واستمرت في الظهور على الأقل إلى سنة 1913، وعنوانها الكامل هو: (مجلة الأحكام السارية الجزائرية) ولها بالفرنسية عنوان معناه (مجموعة القوانين الدينية الجزائرية)، وصدر منها مجلدات بين 1907 - 1912 بالاسمين المذكورين، لكن عدد سنة 1913 لم يظهر فيه سوى اسم «الشرشالي»، فهل توفي الأشرف عندئذ، أو تجنّد للحرب أو تحلّى؟ إن الأمر غير واضح.

ورغم جهد «موران» وضغوطاته، ومساعي «لوسيان» وحنكته، فإن مشروع تدوين الفقه الإسلامي في الجزائر لم يثمر لوجود معارضة واضحة، وكانت المعارضة من الجزائريين تقوم على الشك في نية الفرنسيين المكشوفة، وهي أن العملية كلها جاءت لإتمام اندماج الشريعة الإسلامية في القانون الفرنسي، وفتح أبواب التجنس والزواج المختلط، وما يترتب على ذلك من عواقب تؤدي إلى ذوبان الجزائريين في غيرهم. فالتدوين كان ممكناً في تونس ومصر وغيرهما حيث الشريعة سيدة نفسها تقريباً، ولكنه استحال أمام بلاد يسودها القانون الفرنسي باسم الاحتلال، ويزعم محتلوها أن لها إسلاماً خاصاً بها يمكن التعايش بينه وبين القانون المذكور. وقد حاول «موريس فيوليت» خلال =

هذه قريبة في الوضع من المجلة العثمانية، إلا أن المجلة العثمانية تغلب المذهب الحنفي، وهذه تغلب المذهب المالكي، وقد قامت صجّة حولها، لعدم انطباقها تمام الانطباق على الفقه الإسلامي، فقتلتها في مهدها، فأسست الإدارة لجنة من رجال القانون الأفرنسيين، وعلماء المسلمين الرسميين، وما كادت تلك اللجنة تُنهي أعمالها حتى صرعتها الدسائس، وأصبحت هي وأعضاؤها في ذمة التاريخ.

والإدارة في الجزائر لا تعتبر من العلم إلا ما كان رسمياً، أي: مكيفاً بالكيفية التي تريدها، ولها يد في تكوينه... و(ابن باديس) رحمه الله طالب بوضع مجلة أحكام شرعية على يد هيئة إسلامية، إذ لا تُعقل مشاركة رجال القانون الأفرنسيين في وضع مجلة يحكم بها قاضٍ مسلم بين مسلمين، وطالب بجعل الهيئة المنظمة للمجلة تحت إشراف الجمعيات الدينية الحرة، لأن الجمعيات الدينية الموجودة حتى اليوم لم تكن مؤسّسةً بصفة حرة منتخبة من الأمة، بل هي أسماء أُسمت الحكومة بها جماعة من المقربين إليها، ومنحتهم إياها كما تُمنح الأوسمة والألقاب الشرفية.

وهذه المطالب التي قدّمها رئيس جمعية العلماء المسلمين الراحل مع بعض الإجمال سنة 1936م، ذكّر بها رئيس الجمعية اليوم: الشيخ (البشير

= العشرينات، عندما كان حاكماً عاماً، إحياء المشروع عشية الاحتفال المؤي بالاحتلال، ولكنه فشل أيضاً، ومنذ ذلك دفن المشروع. تاريخ الجزائر الثقافي، 7/105-106.

الإبراهيمي) حفظه الله الحكومة مفصلة سنة 1944، ولا زالت الجمعية تطالب بها إلى اليوم، وهي تتلخص في: «توسيع برنامج التعليم القضائي في مواد: العربية، والفقه، والأصول، والتفسير، والسنة، ومآخذ الأحكام منها، وتاريخ القضاء في الإسلام، وفلسفة التشريع، وفتح الباب للمتخرجين من المعاهد الإسلامية الكبرى، ليتولوا مناصب التعليم القضائي، ومناصب القضاء أيضا.

وتكوين مجلس قضائي أعلى من القضاة المسلمين يتولى تسمية القضاة، ومراقبتهم، والنظر في سلوكهم، وتكون سلطة هذا المجلس مستقلة عن القضاء الأفرنسي، وتكوين محاكم استئناف إسلامية تستأنف إليها الأحكام الأولية، وتكون سلطتها إسلامية بحتة، لأن حكم القاضي المسلم لا ينقضه إلا قاض مسلم¹».

قدّمت جمعية العلماء للحكومة هذه المطالب المرة بعد المرة فتصاممت كأن في أذنيها وقرا، وتلك شنشنة² الحكومة الاستعمارية في القضايا التي تهم الإسلام والمسلمين بهذه البلاد، والجمعية لازالت مُصرّة على طلبها ملحة في إنجازها، ملازمة للحكومة عليه ملازمة الغريم للغريم؛ لأن الجمعية هي الهيئة

1 ينظر: تقرير إلى لجنة الإصلاحات الإسلامية بالجزائر، ضمن: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، 133/2-137، 138-146، وينظر فصل الدين عن الحكومة، فصل الحكومة عن الدين في آثاره أيضا، 133/3-136.

2 الشنشنة: الطبيعة، أي: هذه طبيعته. ينظر: لسان العرب، 6/354.

الوحيدة القائمة بالمحافظة على الذاتية الجزائرية بصفة عملية، والمحافظة على الذاتية غير ممكنة إلا بإصلاح القضاء واستقلاله، والقضاء من الذاتيات التي تقوم بها ماهية الدين الإسلامي، فلا جرم إن جعلت الجمعية إذن مسألتها مسألة رئيسية، لا يمكن التغاضي عنها بأية حال من الأحوال، هذا تصويرٌ موجزٌ لتاريخ القضية ومراحلها.

ومن المعقول أن قضايا الأمم تتطور بتطور الأمم، وحالة الأمة الجزائرية في أول ما طالبت جمعية العلماء بإصلاح القضاء غير حالتها اليوم، فكما تقدمت الأمة في شعورها؛ تقدمت في تفكيرها وعلمها، وفيها اليوم علماء مستجمعون للأدوات، من: تفسير، وفقه، وأصول، وفلسفة تشريع، وتاريخ، فلا يعجزهم أن يضعوا مجلة من أرقى المجلات، تُباهي بها الجزائر المسلمة العربية الأمم الراقية المتضلعة في التقنين والتشريع، وذلك ميسورٌ جداً، لأن الأمة اليوم - وإن كانت في عصر انبعاثها - تستطيع أن تكون هيكلًا قضائياً، لا تفتقر فيه إلى أحدٍ من غير أبنائها، وبمجرد نظرة يُلقيها الإنسان على مجموع الأمة من غير تنطس¹، يجد من بين أبنائها اليوم - والحمد لله - العالم النظّار، والفقهاء الضليع، العالم بمقاصد الشريعة الإسلامية وأسرارها، والفقهاء المقارن بين التشريع الروماني والتشريع الغربي الحديث، وهم عدد غير قليل من رجال القضاء والمحاماة.

1 أي: من غير تدقيق وتبحث واستقصاء. أساس البلاغة، 2/280.

فمتى يا تُرى ترفعُ الحكومةُ يدها عن القضاءِ الإسلاميِّ، وتتركُ للمسلمين
حرِّيَّةَ دينِهِم من غيرِ واشٍ ولا رقيبٍ؟

ومتى يا تُرى تتظافرُ جهودُ علماءِ الجزائرِ على وضعِ مجلةٍ أحكامٍ شرعيةٍ
تستمدُّ نصوصها من الكتابِ والسنة، وأفضية الصحابةِ وأنظارِ المجتهدين؟
إنه يومٌ آتٍ لا ريبَ فيه، يراهُ غلاةُ الاستعمارِ وأذنابُه بعيداً، ونراهُ قريباً،
والله وليُّ المؤمنين.

خاتمة

بعد هذه الجولة الماتعة مع الشيخ حمزة بوكوشة من خلال حياته الشخصية، وحياته العلمية، وما خطته يده من مقالات علمية رصينة، ساهم بها في إصلاح الجيل حينها، وتنوير القارئ لجرائد جمعية العلماء في الداخل والخارج، وما ناقشه من موضوعات وقع فيها مع غيره خلاف، وكان الشيخ فيها يحاول الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية في زمن ييث فيها المستعمر سمومه، بكل ما أوتي من قوة، بعدها نُذكَّرُ بالآتي:

1. تزخر بلادنا الجزائر عموما، وسوف خصوصا بكنوز علمية ثمينة، تتمثل في رجال أوفياء، وعلماء أنقياء، كانوا منارات أوطانهم، حيث ساهموا في تحرير عقولهم، قبل تحرير وطنهم.
2. المساهمة الكبيرة للشيخ حمزة بوكوشة في الدعوة وإصلاح المجتمع، ودفع الظلمة عنه، خلال الفترة الاستعمارية، فهو مجاهد بالعلم والقلم.
3. ضرورة الاهتمام بهذه الثلة المباركة من العلماء والمصلحين والمربين، من خلال كتابة تراجمهم من الناحيتين الشخصية والعلمية، تعريفًا للأجيال بهم، فهم قدوة لمن بعدهم، وذلك من خلال توجيه أنظار طلبة العلم في الكليات والمعاهد الإسلامية، وفي الدراسات العليا إلى العناية بالتعريف بهم وبمجهوداتهم وآثارهم العلمية، وتحقيقها، وخدمتها خدمة علمية تليق بمقام هؤلاء الأعلام.

4. أهمية الكتابة في مناهج هؤلاء الأعلام في التربية والإصلاح الاجتماعي، وما استخدموه من وسائل وأساليب خدمة لدينهم ولوطنهم، حتى تقتدي بهم الأجيال القادمة.

والله أسأل التوفيق والسداد، وأن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، مفيداً لطلبة العلم، ومحبي أهل الخير، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

1. أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر د. أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة الجزائر، ط سنة 2011م.
2. آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم نجله: الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي تونس، ط3 سنة: 2011م.
3. أحكام القرآن، محمد بن عبد الله ابن العربي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
4. الإحكام في أصول الإحكام، سيف الدين الآمدي، علق عليه: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، ط2 سنة: 1402 هـ.
5. أدب الكاتب، عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، حققه وعلق حواشيه ووضع فهرسه: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان.
6. أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1 سنة: 1419هـ/1998م.
7. الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، جلال الدين السيوطي، ت: يحيى مراد، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط 1 سنة: 1428هـ/2008م.
8. الإصابة لابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
9. أعلام من المغرب العربي، محمد الصالح الصديق، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط سنة 2007م.
10. أعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب، سعد بن البشير العمامرة، شركة مزوار، الوادي الجزائر، ط سنة: 2006م.
11. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط15، سنة: 2002م.

12. أعيان من المشاركة والمغاربة، د. أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة الجزائر، ط سنة 2011م.

13. الأمالي، إسماعيل بن القاسم القالي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

14. أمثال العرب، المفضل بن محمد الضبي، قدم له وعلق عليه: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت لبنان، ط 1 سنة: 1403هـ/1983م.

15. الأمثال، لأبي عبيد القاسم بن سلام، حققه وعلق عليه وقدم له: عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط 1 سنة: 1400هـ/1980م.

16. إيضاح المبهم من معاني السُّلم، أحمد الدمهوري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط سنة 1342هـ.

17. الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، جلال الدين القزويني الشافعي، ت: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت لبنان، ط 3.

18. البصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدي علي بن محمد بن العباس، تحقيق: د. دة: و داد القاضي، دار صادر بيروت لبنان، ط 1.

19. البصائر، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط 1، سنة: 1426هـ/2005م.

20. بطل النهضة المصرية الكبرى سعد زغلول باشا، عباس حافظ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة مصر.

21. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الزبيدي، ت: عبد الكريم العرابوي، راجعه: مصطفى حجازي، دار الحكومة، الكويت، ط سنة: 1410هـ/1990م.

22. تاريخ الجزائر الثقافي، د. أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة الجزائر، ط سنة 2011م.

23. تحرير المرأة، لقاسم أمين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة مصر.

24. تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب، ابن كثير، دراسة وتحقيق: عبد الغني بن حميد محمود الكبسي، دار حراء للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط 1 سنة: 1406هـ.

25. التذكرة الحمدونية، محمد بن حسن بن حمدون، ت: إحسان عباس، وبكر عباس، دار صادر، بيروت لبنان، ط سنة: 1996م.

26. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي الغرناطي، ت: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت لبنان، ط سنة: 1416هـ.

27. تطبيقات قواعد الفقه عند المالكية من خلال كتاب البهجة في شرح التحفة، الصادق الغرياني، دار ابن حزم بيروت لبنان، ط 1 سنة: 1426هـ/2005م.

28. التعازي والمرثي، محمد بن يزيد المبرد، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط 1 سنة: 1417هـ/1996م.

29. تفسير ابن أبي حاتم، محمد بن إدريس الرازي، ت: أسعد محمد الطيب، مكتبة الباز، مكة والرياض، ط 1 سنة: 1417هـ/1997م.

30. تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد شاكر، دار ابن الجوزي، القاهرة مصر، ط 1 سنة: 1430هـ/2009م.

31. تفسير عبد الرزاق، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، دراسة وتحقيق: د. محمد محمود عبدة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1 سنة: 1419هـ/1999م.

32. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن أبي نصر الحميدي، دراسة وتحقيق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، منشورات مكتبة السنة، القاهرة، مصر، ط سنة: 1415هـ/1995م.

33. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط 1 سنة: 1427هـ/2006م.

34. جريدة الشهاب، لمنشئها: عبد الحميد بن باديس، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1 سنة: 1421 هـ/2001م.
35. جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، حققه وعلق حواشيه ووضع فهرسه: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، دار الجيل، ودار الفكر، بيروت لبنان، ط2 سنة: 1408 هـ/1988م.
36. جولة من التلال إلى الرمال، ضمن كتاب خمس رحلات جزائرية، 1904-1932، محمد الخضر حسين وآخرون، حررها وقدم لها: محمد صالح الجابري، دار السويدية للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، ط1، سنة 2004م.
37. حقوق النساء في الإسلام، محمد رشيد رضا، تعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت لبنان، ط سنة: 1404 هـ/1984م.
38. هزمة بوكوشة وجهوده الإصلاحية من خلال جريدة البصائر، 1935-1956، رسالة ماستر من إعداد الطالب: إسماعيل زيد، وإشراف الدكتور: موسى بن موسى، نوقشت في الموسم الجامعي 2011-2012م.
39. الحيوان، عمرو بن بحر الجاحظ، وضع حواشيه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2 سنة: 1424 هـ/2003م.
40. خارج السرب مقالات وتأملات، د. أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة الجزائر، ط سنة 2011م.
41. الدر المثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة مصر، ط1 سنة: 1424 هـ/2003م.
42. دراسات في تاريخ المقاومة الثقافية بالجزائر للحفاظ على الهوية الوطنية، د. علي غنابزية، مطبعة مزوار، الوادي الجزائر، ط1 سنة: 2011م.
43. ديوان الأخطل، شرحه وصنف قوافيه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، دار

- الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2 سنة: 1414 هـ/ 1994م.
- 44 ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، شرحه وكتب هوامشه وقدم له: عبدا مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2 سنة: 1414 هـ/ 1994م.
- 45 ديوان ديك الجن، حققه وأتم تكملته: د. أحمد مطلوب، وعبد الله الجبوري، نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت لبنان.
- 46 ديوان شهاب الدين العزازي أحمد بن عبد الملك، حققه وقدم له: د. رضا رجب، دار الينابيع دمشق سورية، ط1 سنة: 2004م.
- 47 ديوان عمرو بن كلثوم، جمعه وحققه وشرحه: إيميل يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط1 سنة: 1411 هـ/ 1991م.
- 48 ديوان كعب بن زهير، ت: د. درويش جويدي، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ط1 سنة: 1429 هـ/ 2008م.
- 49 الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن الأنباري، حققه: الشربيني شريفة، دار الحديث القاهرة مصر، ط سنة: 1429 هـ/ 2008م.
- 50 زهر الأكم في الأمثال والحكم، للحسن اليوسي، حققه: د. محمد حجي، ود. محمد الأخضر، الشركة الجديدة دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، ط1 سنة: 1401 هـ/ 1981م.
- 51 سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث، خرج أحاديثه وعلق عليه: ياسر حسن وآخرون، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت لبنان، ط1 سنة: 1434 هـ/ 2013م.
- 52 سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، خرج أحاديثه وعلق عليه: عز الدين ضلي، وآخرون، ط1 سنة: 1434 هـ/ 2013م.
- 53 سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط3، سنة: 1405 هـ / 1985 م.

54. السيرة النبوية، محمد بن إسحاق، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1 سنة: 1424هـ/2004م.
55. شرح القواعد الفقهية، أحمد بن الشيخ محمد الزرقا، بقلم: مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم دمشق، ط 8 سنة: 1430هـ/2009م.
56. شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط سنة: 1407هـ/1986م.
57. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليماني، ت: حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر، دمشق، ط سنة: 1999م.
58. الشيخ الناقد حمزة بوكوشة، سمير سمراد، مجلة الإصلاح بالجزائر، السنة الثانية، عدد 9، جمادى الأولى/جمادى الآخرة 1429هـ، الموافق: ماي جوان 2008م.
59. الشيخ محمد الطاهر التليلي وجهوده في البحث الفقهي والإفتاء، د. إبراهيم رحمان، مطبعة سخري، الوادي الجزائر، ط 1 سنة: 1432هـ/2011م.
60. الشيخان: الشيخ إبراهيم بن عامر، الشيخ الهاشمي حسني، بقلم: د. عاشوري قمعون، مطبعة مزوار، الوادي الجزائر، ط 1 سنة: 2010.
61. الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط 4 سنة: 1433هـ/2012م.
62. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار البصائر، الجزائر، ط سنة: 1425هـ/2004م.
63. صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، ط سنة: 1434هـ/2013م.
64. الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم، ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم، لأبي القاسم بن بشكوال، حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط 1 سنة: 2010.

65. الطبقات الكبير، محمد بن سعد، ت: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ط 1 سنة: 1421هـ/2001م.

66. طبقات المفسرين، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1 سنة: 1403هـ/1983م.

67. طبقات المفسرين، شمس الدين الداودي، تحقيق: محمد علي عمر، مكتبة وهبة عابدين مصر، ط 1 سنة: 1392هـ/1972م.

68. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط 1 سنة: 1423هـ/2002م.

69. الظرف والظرفاء، محمد بن إسحاق الوشاء، ت: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي مصر، ط 2 سنة: 1372هـ/1953م.

70. العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، سراج الدين عمر بن علي ابن الملتن، حققه وعلق عليه: أيمن نصر الأزهرى، وسيد مهني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1 سنة: 1417هـ/1997م.

71. العلامة الموسوعي الشيخ حمزة بوكوشة، د. عاشوري قمعون، طبع بمطبعة سخري بالوادي الجزائر، ط 1 سنة: 1433هـ/2012م.

72. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد الحنفي، بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.

73. العواصم من القواصم، محمد بن عبد الله ابن العربي، ت: د. عمار طالبي، مكتبة دار التراث القاهرة مصر.

74. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز دار

- المعرفة، بيروت، لبنان، ط سنة: 1379هـ.
- 75 فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط 1 سنة: 1414 هـ.
- 76 فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط 2 سنة: 1391هـ/1972م.
- 77 كتاب الفروق، أحمد بن إدريس القرافي، دراسة وتحقيق: محمد سراج، وعي جمعة، دار السلام القاهرة مصر، ط 1 سنة: 1421 هـ/2001م.
- 78 الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم، ت: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط 1 سنة: 1409هـ.
- 79 الكتاب، عمرو بن عثمان سيبويه، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط 3 سنة: 1408هـ/1988م.
- 80 لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور الأنصاري، دار صادر، بيروت لبنان، ط 3 سنة: 1414 هـ.
- 81 ما رأيت وما رويت، حمزة بوكوشة، جمع: سهيل شنوف، د. ط، طبع سنة: 2012م.
- 82 مجمع الأمثال، أحمد بن محمد الميداني، حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، ط سنة: 1374هـ/1955م.
- 83 المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1 سنة: 1421 هـ - 2000 م.
- 84 المحلى، علي بن أحمد بن حزم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، إدارة الطباعة المنيرية، مصر.
- 85 مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، برواية: إسحاق بن منصور المروزي، طبع الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، ط 1 سنة: 1425هـ/2004م.

86. المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، تذييل: مقبل بن هادي الوادعي، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط 1 سنة: 1417هـ/1997م.

87. المستصفي من علم الأصول، محمد بن محمد الغزالي، تحقيق وتعليق: محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط 1 سنة: 1417هـ/1997م.

88. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى اليحصبي، طبع ونشر: المكتبة العتيقة، تونس، ودار التراث القاهرة.

89. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، اعتنى بها: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ط سنة: 1435 هـ/2014م.

90. مصنف عبد الرزاق المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام اليماني الصنعاني، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، نشر: المجلس العلمي، الهند، ط 2 سنة: 1403 هـ.

91. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي، د. ط، د. ت.

92. معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، دار الوعي، الجزائر، ط سنة: 1438 هـ/2017م.

93. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، القاهرة مصر، ط 1 سنة: 1429هـ/2008م.

94. معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار الفرقان عمان الأردن، ط 1 سنة: 1405هـ/1985م.

95. المغرب في ترتيب المعرب، ناصر بن عبد السيد أبي المكارم المَطْرَزِيّ، دار الكتاب العربي، د. ط، د. ت.

96. من أعلام الإصلاح في الجزائر، محمد الحسن فضلاء، ط دار هومة، سنة: 2002م.

97. من خواطر الصبا والشباب والكهولة والمشيب، حمزة بوكوشة، جمع ونشر: سهيل شنوف، د. ط، طبع سنة: 2012م.
98. من خواطر حمزة، في كتاب أحداث وأحاديث، للشيخ الدكتور: محمد الهادي الحسني، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1 سنة: 1434هـ/2013م.
99. موسوعة القواعد والضوابط الفقهية، علي الندوي، تقریظ: عبد الله بن عقيل، شركة الراجحي المصرفية، الرياض، وشركة المستثمر الدولي، الكويت، ط سنة: 1419هـ/1999م.
100. الموطأ، مالك بن أنس، اعتنى به: محمود بن الجميل، دار الإمام مالك للكتاب، الجزائر، ط 1 سنة: 1423هـ/2002م.
101. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان.
102. نثر الدر، محمد بن الحسين الآبي، اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها: مظهر الحججي، منشورات وزارة الثقافة دمشق سورية، ط سنة: 1997م.
103. نظرات في كتاب السفور والحجاب، مصطفى الغلاييني، تقديم: فاطمة حافظ، دار الكتاب المصري، القاهرة مصر، ودار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ط سنة: 1433هـ/2012م.
104. نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب، شهاب الدين النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط 1 سنة: 1423 هـ.
105. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك الجزري ابن الأثير، تحقيق: محمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية، ط 1 سنة: 1383 هـ - 1963م.
106. هذه حياتي، محمد الطاهر التليلي، إعداد وإشراف: بشير خلف، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي الجزائر، ط 1 سنة: 2017م.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
5	- المقدمة
7	□ حياته الشخصية والعلمية
7	أولاً: حياته الشخصية
7	1. اسمه ونسبه
7	2. نشأته
8	3. أسرته
8	4. أعماله
9	أولاً: التعليم
10	ثانياً: الصحافة
11	ثالثاً: الجمعيات والمجالس
12	رابعاً: التجارة
12	خامساً: وزارة الأوقاف
12	سادساً: وزارة العدل
13	التقاعد عن العمل الرسمي
13	5. العلامة بوكوشة والثورة الجزائرية
17	6. جوانب من حياة الشيخ حمزة بوكوشة وصفاته
22	7. وفاته
23	ثانياً: حياته العلمية
23	1. شيوخه
23	أولاً: في الوادي
23	ثانياً: في بسكرة

24	ثالثا: في تونس
24	رابعا: في الجزائر العاصمة
25	2. تلاميذه
25	3. مؤلفاته
25	4. مكانته العلمية وثناء العلماء عليه
29	▣ نماذج من مقالات الشيخ حمزة بوكوشة
31	(1) الأَخْلَاقُ
34	(2) قِيَمَةُ الْمَرْأَةِ فِي الْمُجْتَمَعِ
38	(3) حِجَابُ الْمَرْأَةِ دِينٌ وَالْمُبَالِغَةُ فِيهِ عَادَةٌ شَرِيفَةٌ فِي الْإِسْلَامِ وَقَبْلِهِ
51	(4) حِجَابُ الْمَرْأَةِ دِينٌ وَالْمُبَالِغَةُ فِيهِ عَادَةٌ شَرِيفَةٌ فِي الْإِسْلَامِ وَقَبْلِهِ (2)
	(5) حِجَابُ الْمَرْأَةِ دِينٌ وَسِتْرٌ وَجْهَهَا مِنَ الدِّينِ، وَالْمُبَالِغَةُ فِي حِجَابِهَا
59	عَادَةٌ شَرِيفَةٌ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ، فَعَلَى مَنْ تَدَجَّلُونَ أَيُّهَا الْمُتَنَطِّعُونَ
73	(6) وَفَدُ جَمْعِيَةِ الْعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ الْجَزَائِرِيِّينَ بُوَادِي سُوْفٍ وَنَوَاحِيهَا
81	(7) وَفَدُ جَمْعِيَةِ الْعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ الْجَزَائِرِيِّينَ بُوَادِي سُوْفٍ وَنَوَاحِيهَا (2)
84	(8) وَفَدُ جَمْعِيَةِ الْعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ الْجَزَائِرِيِّينَ بُوَادِي سُوْفٍ وَنَوَاحِيهَا (3)
87	(9) وَفَدُ جَمْعِيَةِ الْعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ الْجَزَائِرِيِّينَ بُوَادِي سُوْفٍ وَنَوَاحِيهَا (4)
91	(10) الْأَدَبُ الْجَزَائِرِيُّ مَجْلَةُ الشَّهَابِ وَاحْتِرَامُ الْأَفْكَارِ
97	(11) الْقَضَاءُ الْإِسْلَامِيُّ فِي الْجَزَائِرِ
103	(12) الْقَضَاءُ الْإِسْلَامِيُّ فِي الْجَزَائِرِ (02)
109	خاتمة
111	فهرس المصادر والمراجع
121	فهرس الموضوعات

هذا الكتاب

يهدف هذا الكتاب إلى التعريف بسيرة أحد العلماء العاملين في تاريخ الحركة الإصلاحية الجزائرية، وهو الشيخ حمزة بكوشة (شنوف)؛ حيث تعرض الصفحات لجوانب من مسيرته العلمية والتربوية والنضالية. كما تتولى تحقيق جملة من المقالات التي نشرها الشيخ في جريدة "البصائر" لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. ونظرا لكثرة مقالات الشيخ انتخب الكاتب منها اثنتا عشرة مقالة قام بخدمتها خدمة علمية، على أمل جمع وخدمة باقي المقالات في إصدار لاحق بإذن الله تعالى.

ISBN: 978-9969-517-17-0



للطباعة
والنشر
والتوزيع

سَامِعِي